# الفصل الخامس

# البعث، المقاومة العراقية للاحتلال والطائفية

## ( الجزء الأول )

بعد سقوط ثورة العقداء الأربعة التي عُرفت بثورة رشيد عالي في ١ حزيران/ مايس ١٩٤١ وعودة النظام الملكي ؛ شددت بريطانيا قبضتها المباشرة على الشأن العراقي.

كانت هذه الفترة تمثل في الوقت نفسه بدايات ظهور نُخب من المتعلمين من أبناء الطائفة الشيعية، ممن استفاد من المؤسسات التربوية التي أقامتها الدولة العراقية الناشئة، يمكن وصف هذه النخب بالعلمانية (لا تعني العلمانية هنا الكفر أو الإلحاد كما يشاع، بل هي موقف يرفض تدخل الدين بالسياسة) أي أنهم كانوا بعيدين عن أي ميول طائفية، بل يمكن اعتبارهم من المتمردين على الطائفة ومراجعها بانتسابهم لمدارس الدولة المحرمة، فهم من أولئك الذين لم يلتزموا بدعوة مجتهديهم لمقاطعة مدارس الدولة ووظائفها، توزعت هذه النخب بين التيارات السياسية المختلفة بدون أي حساسيات طائفية، لا منها ولا من أبناء الطائفة السُنّية ، كانت أولوية ولاءاتهم لأفكارهم والأيديولوجيات التي اقتنعوا بها.

تشكل حزب الاستقلال كممثل للتيار القومي العربي برئاسة مهدي كبة الشيعي، وعضوية ٧ آخرين، ستة منهم من السنة[١]، تبوأ بعض من هذه النخب مواقع مميزة في الحزب الشيوعي العراقي[٢].. برز صالح جبر ممثل للتيار الموالي للسياسة البريطانية في العراق، كما كان كلاً من محمد الصدر، وفاصل الجمالي، من الموالين للملكية في التزاماتهما، إضافة لأسماء عديدة أخرى تحسب على التيار الوطني الناشط في العمل من أجل تحقيق استقلال العراق الكلي والتخلص من السيطرة البريطانية، دون الارتباط بتوجه أيديولوجي محدد، مثل جعفر أبو التمن، مهدي البصير، محمد رضا الشبيبي، وغيرهم.

عند وصول الأفكار الأولى لحزب البعث من سوريا إلى العراق، برز فؤاد الركابي كأكثر البعثيين التزامًا وتنظيمًا لأفكاره، ما أهله لأن يتولى عملية بناء الحزب وقيادته حتى أواخر ١٩٦٠.. تراجع خلال هذه الفترة بشكل واضح الحديث عن الطائفية التي انطوت بشكل منسي في التكايا والجوامع.

إن قراءة تاريخ المرحلة التأسيسية لحزب البعث فرع العراق تكشف بما لا لبس فيه مساهمة البعثيين الأوائل من أبناء الطائفة الشيعية، لا يكتمل الحديث عن

---

**١- حول تاريخ حزب الاستقلال، وظروف نشوءه وأبرز قياداته يمكن مراجعة أفضل دراستين عنه:**

**- عبد الله الجيزاني، حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٦-١٩٥٨: التجربة الفكرية والممارسة السياسية، دمشق: دار العلم، ١٩٩٤.**

**- إبراهيم الجبوري، سنوات من تاريخ العراق: النشاط السياسي المشترك لحزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي، بغداد: المكتبة العالمية، بلا تاريخ نشر.. إضافة إلى المصادر الأخرى التي تناولت تاريخ الأحزاب العراقية، خاصة كتاب مؤرخ الدولة العراقية الحديثة.**

**- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية، بيروت: مركز الأبجدية للصف والتصوير للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص: ١٣٦-١٤٨.**

**٢ - حول مساهمة النخب الشيعية في الحزب الشيوعي العراقي راجع: حنا بطاطو، العراق - الكتاب الثالث: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، ترجمة عفيف الرزاز، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٢. خاصة الفصل ١٩ المعنون "تركيبة الحزب الشيوعي وتنظيمه"، ص: ٣٠٩-٣١٦.**

تاريخ البعث في العراق بدون الدور الفعال لفؤاد الركابي، أول أمين سر لقيادة قطر العراق، وجهوده المميزة في تأسيس الحزب وتوطيد بناه وأطره، وهو شيعي من مدينة الناصرية[1].

يذكر بطاطو في إحصائياته عن امتداد الحزب في المدن العراقية، إن حجم التنظيم في مدينة الناصرية يأتي الثاني في التعداد بعد بغداد[2]، حتى بعد انشقاق الشهيد فؤاد عن الحزب، الذي تخلت قيادته القومية في سوريا عن شعار أو مبدأ الوحدة، مندفعة بقوة ضد وحدة مصر وسوريا واندماجهما بكيان واحد في (ج.ع. م)، بحجة دكتاتورية عبد الناصر الذي لم يسلمهم الحكم في سوريا، تشكلت قيادة الحزب في العراق بعد انشقاق فؤاد، تلك التي قادت حركة ٨ شباط ١٩٦٣ ضد عبد الكريم قاسم، من ٨ أعضاء، خمسة منهم كانوا من أبناء الطائفة الشيعية، وثلاثة من السنة[3].

عندما يمضي الإنسان بهذه الحسابات الطائفية، فإن أوائل الذين نقلوا أفكار الحزب من الطلبة السوريين كانوا من أبناء الطائفة العلوية المحسوبة على التشيع، مثل فائز إسماعيل ورفاقه، الذين يسجل لهم مؤرخوا الحزب السبق في نقل أفكاره للعراق ونشرها بين طلبة الجامعة، كان العلويون في سوريا من أبناء لواء الإسكندرونة الذين هاجروا لدمشق بعد استيلاء الأتراك على اللواء، هم القاعدة الأساسية أو الركيزة الأولى التي قام عليها الحزب أصلاً[4].

---

**١- للإطلاع على الدور المميز لفؤاد الركابي في تأسيس فرع العراق لحزب البعث راجع: نفس المصدر، ص:٤٨- ٥٢. كذلك، مجيد خدوري، العراق الجمهوري، بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤، ص:١٦٣-١٦٤.**

**٢- حنا بطاطو، مصدر سابق، ص:٤٩.**

**٣- نفس المصدر، ص: ٢٨٤**

**٤- نفس المصدر، ص: ٤٧.**

قبل الانتقال للحديث عن تجربة الحزب بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، هناك حقيقة أيضًا تخص حزب الدعوة، وهو أكبر وأقدم الأحزاب الدينية في العراق..

ملاحظة ذات أهمية بموضوع الحديث عن الطائفية؛ يصر كتاب حزب الدعوة على إرجاع تاريخ تأسيسه إلى عام ١٩٥٧، على أساس أنه كان فعلاً وجهدًا إيجابيًا وليس ردة فعل تجاه المد الشيوعي الذي ساد الشارع العراقي بعد سقوط النظام الملكي، رغم أني أعتقد أن التاريخ الحقيقي لنشوء الحزب وتحركه لكسب الأعضاء ونشر دعوته بين الموثوق بهم من رجال الدين والمتدينيين بدأ في ربيع عام ١٩٦١، ليس في الأمر إشكال كبير ربما كانت هناك أفكار أو حديث عن تشكيل الحزب بدأت في عام ١٩٥٧، إلا أن نشاطات المؤسسين بدأت في ربيع ١٩٦١، سواء كان التاريخ الحقيقي ١٩٥٧ أو ١٩٦١..

ففي عام ١٩٥٧ كان النظام الملكي قائمًا، بفترة يمكن أن توصف بتراجع التوجهات الطائفية وانكفائها لصالح التيارات السياسية الجديدة، أي ما يؤشر إلى غياب التوجهات الطائفية للحزب، في عام ١٩٦١ كان العراق خاضعًا لحكم عبد الكريم قاسم، الناس أبعد ما يمكن أن تكون عن الدين والطائفية، فهي منقسمة بين الشيوعيين ومناهضيهم من قوى مختلفة، ما يعني أن حزب الدعوة أو التحرك السياسي لبعض رجال الدين انطلق على أُسس دينية إسلامية غير طائفية، حتى أن الحزب وإلى عهد قريب لا يخفي إعجابه بحزب الإخوان المسلمين في مصر، وحزب التحرير، وسيد قطب.

الخميني في حينها كان مجرد مجتهد إيراني لاجئ في العراق، أي لا دخل لإيران أو ثورة الخميني بتشكيل الحزب، كما كان نظام الشاه مكروهًا على العموم من غالبية العراقيين، شيعة وسنة.. بما يعني أن حزب الدعوة انطلق بإرادة عراقية خالصة دون أي تأثيرات لإيران عليه، بغض النظر عن الموقف

الأيديولوجية، بالعكس قد تكون مراحل ولادته الأولى أكثر تأثرًا، كما قلت بتجربتي الإخوان المسلمين والتحرير، وسيد قطب.

ننتقل الآن للمرحلة الثانية من وصول البعث للسلطة، كان صدام محور أو سيد السياسات التي سادت خلال ال ٣٥ عام من حكم البعث، إن متابعة مسيرة حياته حتى ما قبل وصوله للسلطة لا تدل على أي توجهات طائفية عنده، يقر بذلك حتى أكثر أنصار الطائفية تطرفًا[١].. ضحاياه الأوائل كانوا من علماء السُنَّة مثل الشيخ عبد العزيز البدري، أمير ولاية العراق في حزب التحرير، الشيخ البدري كان معروفًا بتوجهاته الإسلامية التي ترتقي فوق الحساسيات الطائفية، عرف بعلاقاته الودية مع الكثير من مجتهدي الشيعة مثل الشيخ مهدي الخالصي ومحسن الحكيم.

إن صدام لا طائفة له ولا دين أو أي اعتبارات أخلاقية، كان دينه وكل معتقداته الأخرى تتمركز حول شخصه، مصلحته هو أولاً ومصلحة ومنافع أقاربه الأقربين جدًا أولاده وإخوانه، ومن ثم أولاد عمومته، حتى هؤلاء من يخرج منهم عن طوعه أو يمكن أن يشكِّل خطرًا أو تهديدًا محتملاً على موقعه؛ مهما تكن درجة قرابته سيكون عرضة وموضوع لانتقامه كما الآخرين.

تجربة أزواج بناته، حسين كامل وصدام كامل خير دليل، كما لم تتلاشَ الشكوك حتى الآن في أن مقتل ابن خاله وصديق طفولته عدنان خير الله، صهره، أخو زوجته ساجدة وخال أبناءه وبناته، الذي قُتل بحادث طائرة، بسبب رداءة الأحوال الجوية، إلا أن هناك الكثير من المعطيات تشير إلى أن الحادث كان مفتعلاً. اكتسب عدنان رتبته كضابط بكفائته الشخصية، فهو خريج الكلية العسكرية، لم يمنحه أحد الرتبة اعتباطًا، غير محكوم بإحساس التطفل على

---

**١- مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، أزمة شيعة العراق، لندن: منشورات مؤسسة الخوئي، ٢٠٠٢، ص: ٥٣. كذلك: علي المؤمن، سنوات الجمر، لندن: دار المسيرة، ١٩٩٣، ص:١٧٧.**

الجيش كما هو صدام حسين نفسه، برز عدنان كقائد عسكري محبوب التف حوله الكثير من الضباط، ما يعني أنه يمكن أن يكون مرشح كبديل لصدام في أي عملية تغير داخلية وحتى خارجية، مع وجود لغط بدأ ينتشر بالحديث عن احتمال إبدال صدام حسين بوجه جديد بغية إيقاف الحرب العراقية – الإيرانية التي أنهكت البلدين، لعل ما جرى لأبيه خير الله طلفاح من إهمال وتحجيم لأنه كان يعلن اتهاماته لدور صدام في قتل ابنه، دليلاً.

خير الله هذا كان أول مؤشرات الطائفية (كعصبية أو اتجاه تعصبي) للنظام ضد الشيعة في السنوات الأولى لوصول البعث إلى السلطة، بخروجه المتكرر على شاشة التلفزيون الحكومي ليكيل الاتهامات للشيعة، بخلطه بين التشيع والشعوبية والغلاة، رغم أن التعليمات الحزبية كانت تخفف من انعكاسات تصرفاته هذه بالترويج لبسطاته وسذاجته، ما دفع الشيعة لأخذ هذه السلوكيات مأخذ الهزء والسخرية منه، يتفرجون ويتابعون برامجه الأسبوعية بتشوق كما يتابعون أفلام إسماعيل ياسين أو عبد السلام النابلسي، أو أي حكواتي أو مهرج ممن عرفتهم مقاهي الشام أو بغداد، كان الاعتقاد أن سكوت صدام عنه ليس إلا من قبيل احترام الابن لخاله الذي تولى تربيته، خاصة وأن خير الله لم يكن بعثيًا، ولم يسلم حتى حزب البعث من تلميحاته النقدية.

خير الله هذا رآه الناس بعد مقتل ابنه عدنان مكسور مشلول على كرسي بأربع عجلات، والتفسير لذلك أن صدام نفسه كان قد سبب بطريقة وأخرى شلله بعد أن كثرت انتقاداته لصدام واتهامه بمقتل عدنان، مات خير الله بعد كل تلك الشهرة التي أخذها في السنين الأولى للنظام دون أن يعرف أحد بموته.. مرت ظاهرة خير الله طلفاح، ليس بدون أنعكاسات نفسية على الكثير من الشيعة، رغم محاولة البعثين تخفيف آثارها بما يشيعونه عن هبالته، التي تحرج صدام نفسه بحكم آداب الوفاء لمربيه.

إن ضحايا صدام الأوائل من رجال الدين كانوا من السُّنة، وأولهم الشيخ عبد العزيز البدري، قيل في وقتها انتقامًا منه لأنه ألَّف كتابًا ضد الاشتراكية.

الخطوة الأخرى التي كانت تتحمل تفسيرات عدة، طائفية ولا طائفية، فسرها البعث على أنها نوع من الصراع على القوة، أو انعكاس لموقف وطني عراقي بمواجهة النفوذ الإيراني وتوجهات وأطماع الشاه في العراق، أو أنها شكل من أشكال الصراع بين التوجهات التقدمية البعثية مع القوى الرجعية، تمثلت بموقف النظام من أساتذة جامعة بغداد الشيعة الذين شاركوا أو ساهموا بطريقة أو أخرى لتأسيس جامعة الكوفة، رغم أنهم جميعًا من العرب، وليس لأي منهم علاقة بإيران، أو أي تحرك سياسي ديني أو علماني، ولو كان النظام يمتلك أي دلالة لمثل هذه العلاقة لما امتنع عن تصفيتهم، ولما اكتفى بإقالتهم فأقيلوا من مواقعهم الأكاديمية دون أي متابعة قضائية أو قانونية تشير لأي شك بارتباطاتهم السياسية بأحزاب أو منظمات عراقية أو أجنبية، جريمتهم أنهم شيعة، مثل الدكتور عبد الله فياض، رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب، والدكتور باقر عبد الغني عميد كلية اللغات التابعة لجامعة بغداد، الدكتور عناد غزوان أستاذ الأدب العربي في كلية الآداب بجامعة بغداد، الدكتور ضياء أبو الحب أستاذ محاضر بعلم النفس في كلية التربية بجامعة بغداد، وغيرهم كثير، وهم جميعًا كانوا من المتطوعين للتدريس في كلية الفقه في النجف، لا يستطيع أحد تقديم أي تفسير لإخراجهم وإحالتهم للتقاعد إلا كونهم من أبناء الطائفة الشيعية.

كانت أجهزة الحزب والمخابرات الخاضعة لإدارة وسيطرة صدام حسين الكلية تشير بإصبع الاتهام في مثل هذه المواقف إلى أحمد حسن البكر باعتبار أنه يمثل الخط الرجعي العشائري في الحزب، وتبشر بالخلاص من مثل هذه الممارسات الطائفية حالما يصل صدام لرئاسة الحزب، فكان صدام أملاً شيعيًا

عند البعثيين من الشيعة ليخلصهم من هذا الخط الرجعي العشائري المسيطر على الحزب.

إن قصة اتهام مهدي الحكيم ابن المرجع محسن الحكيم رغم وضوح التوجهات الطائفية فيها، رتبها النظام لكسر موجة التحدي التي واجه بها المرجع محسن الحكيم نظام البعث، إلا أنها مرت هي الأخرى بدون أن تترك كثير من الانعكاسات على مشاعر العامة من أبناء الطائفة الشيعية، كان المد الديني ما زال ضعيفاً، كما نجح النظام بالخلط بشكل ذكي بين مهدي الحكيم والبرزاني وعبد الغني الراوي ومخابرات الشاه.

ففي ٩ حزيران ١٩٦٩، ظهر على شاشة التلفزيون مدحت الحاج سري ليدلي باعترافاته كونه عميل لأمريكا والشاه، وأنه يخطط مع عبد الهادي الراوي ومهدي الحكيم لمؤامرة للإطاحة بنظام البعث لصالح أمريكا وإيران[١]، كان مهدي الحكيم حتى هذا الظهور التلفزيوني لمدحت الحاج سري، طليقاً في الشارع، تمتلك السلطة المعلومات الكافية عن أماكن تواجده، إلا أنها تحاشت على ما يبدو لحسابات معينة إلقاء القبض عليه وأعطته الفرصة للهرب بعد نشر هذه الاعترافات، وإلا فإن الموقف المفروض ألا تنشر هذه الاعترافات إلى ما بعد إلقاء القبض على المتهمين الذين ترد أسماؤهم بالاعتراف..

قد يكون إعدام الضابط راهي بن الشيخ عبد الواحد سكر في هذه المؤامرة، هو الحدث الأكبر الذي هز مشاعر أبناء الجنوب، فراهي لا يمكن أن يتهم بالميول الرجعية أو الموالية لإيران، أبوه عبد الواحد سكر هو واحد من أهم قادة ثورة ١٩٢٠، وقائد التحرك العشائري الذي أوصل الزعيم القومي العربي ياسين الهاشمي للحكم عام ١٩٣٦.

---

**١- علي المؤمن، مصدر سابق، ص:٩٩.**

ظلت آثار ممارسات أجهزة مخابرات صدام هذه محصورة بالنخب المتدينة ولم تتوسع أو تنتشر بين عامة الشيعة، تأخذ لباس الصراع بين الحكم ومراكز القوى الشيعية المحسوبة على خط الرجعية، ولم تؤثر كثيرًا على توجهات عامة أبناء الطائفة، أو أنها تتحمل التفسير كحالة صراع بين التطلعات التقدمية الاشتراكية ممثلة بالحزب، مع بقايا القوى الرجعية المتمسكة بالطائفية.

**- مجزرة صفر/ شباط ١٩٧٧ ، ودور عزة الدوري فيها :**

انقلبت الصورة، واهتزت تمامًا مشاعر الشيعة من العامة والنخب، العلمانيين منهم والمتدينين، عندما لم يتردد نظام حزب البعث عن قتل الشيعي لأول مرة بتاريخ الدولة العراقية منذ تأسيسها في أوائل عشرينات القرن الماضي، فقط لأنه شيعي، لا لأي سبب معقول أخر، كالاتهام بنشاط سياسي مثلما كان يجري من إعدامات وقمع لأعضاء حزب الدعوة ومنظمة العمل الإسلامي[١].. هذه المرة لا، أنت شيعي يجب أن تقتل، لعبة دبرها وزير الداخلية في حينها عزة الدوري، عندما أصدر في شباط عام ١٩٧٧ أمر بمنع المسيرات الراجلة التي تنطلق عادة من النجف إلى كربلاء بمناسبة أربعينية الإمام الحسين، وهي عادة يرجع تاريخها لعشرات أو حتى مئات السنين، رفض أبناء النجف الأمر ونظموا المظاهرات داخل المدينة مستنكرينه، أصر الوزير بدوره على قراره، ثم استخدم قوات الشرطة وأجهزة المخابرات في المدينة لمنع المسيرة بالقوة، جر النظام وراءه ليُنزل قطعات من الجيش لمواجهة المشاة الأبرياء المجردين من أي سلاح سوى تصميمهم على أداء شعائرهم المعتادة، تمَّ إلقاء القبض على الآلاف من المشاركين في المسيرة بغطاء مؤامرة سورية مزعومة، قامت بها

---

**١- بدأت سلسلة الإعدامات لمنتسبي حزب الدعوة بوقت مبكر من بدايات عهد البعث، بدأ بإعدام عبد الصاحب الدخيل في أواخر عام ١٩٧١ ووصلت أرقام الضحايا الى بضعة آلاف، للإطلاع على ذلك لاحظ: علي المؤمن، مصدر سابق، ص: ٢٣٥.**

سوريا بتوزيع البرتقال لرشوة المشاة وتشجيعهم على المسيرة لترسل من طرف آخر شخص يحمل كمية من المتفجرات يريد بها تفجير مرقد الإمام الحسين لإحداث بلبلة وفوضى في العراق، لعبة لا يصدقها حتى عقل الأطفال[1].. بعد أسبوع تمَّ تشكيل محكمة حزبية خاصة لتحكم بإعدام ٨ ممن أسمتهم المحكمة قادة المؤامرة.

كان البيان الأول بتشكيل المحكمة قد خصص بالأسماء ٣ من أعضاء القيادة القطرية كرئيس و٢ من الأعضاء، إلا أن كل من الدكتور عزت مصطفى، عضو القيادة القطرية وفليح حسن الجاسم رفضا القرار لعدم اقتناعهما باللعبة، فأصدر الحزب قرار بفصلها من الحزب وتنحيتهما من وظائفهما، وتم تشكيل محكمة جديدة برئاسة طه الجزراوي، أصدرت المحكمة الجديدة أحكامها ببيان أعلن بالتلفزيون بعد ٣ ساعات من إعلان تشكيلها، بما يعني أن الأحكام كانت جاهزة، لم تكن الغاية من تشكيل المحكمة إلا التمويه بقانونية أو شرعية الأحكام من تشكيلها.

كان يمكن أن تهدأ نفوس الناس مع الأيام، ومشاعر الدهشة والاستغراب من هذا التوجه العدائي المكشوف للطائفة، كانت ما تزال مشاعر بالغصة والألم يتحكم في الناس ليظهر عزة نفسه بعد حوالي ٢٠ يوم، بخطوة فُسرت أنها استفزازية متعمدة، مشاركًا باحتفالات المولد النبوي في جامع الإمام أبي حنيفة في الأعظمية، مع نقل حي ومباشر على التلفزيون الحكومي، عارض مشاركته بانفعال بالحركات الراقصة وهز رقبته وأكتافه بمصاحبة الدفوف.

---

**١- د. موسى الحسيني، المقاومة العراقية والإرهاب الأميركي المضاد، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ص: ٧٦.. كذلك: علي المؤمن، مصدر سابق، ص: ١٣٠.**

**- محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار، قم: بلا دار نشر، بلا تاريخ، ص ك ٢٠٦.**

اهتزت مشاعر عامة الشيعة حتى الكثير من البعثيين منهم، تحت ثقل السؤال: ما معنى أن يمنع الشيعة من ممارسة شعائرهم، ويعدمون؟!، وتصف وسائل إعلام النظام تلك الشعائر بأنها بقايا تقاليد رجعية متخلفة بالية وجهل، ثم بأقل من شهر يشارك الوزير الاشتراكي التقدمي جدًا في شعائر مماثلة ينقلها التلفزيون مباشرة، بما يوحي بأنها استفزاز مقصود ومتعمد.

**من ردات الفعل التي خبرتها شخصيًا عند شباب من أبناء الطائفة ، ممن كانوا أبعد الناس عن التوجهات الطائفية :**

١: كنت جالسًا مع أحد معارفي، بعثي منذ عام ١٩٦٣، عضو قيادة شعبة كربلاء، الرتبة التي تؤهله لأن يقف في صف المسؤولين بالمناسبات، كان واقفًا وقت مؤامرة البرتقال السورية المزعومة في صف المسؤولين في باب مرقد الإمام الحسين، شاهد بعينه وعن قرب الشخص الذي أحضروه مقبوضًا عليه مع علاقته (زنبيله) المملوءة بالمتفجرات الوهمية التي أراد أن يفجر بها مرقد الإمام الحسين. كنا ننتظر أن يعرض التلفزيون مقابلة مع هذا المتآمر السوري الذي أراد أن ينفذ التفجير، ما أن عرض التلفزيون المتآمر السوري حتى وجدت صاحبي يقفز بشدة من مكانه صارخًا معقول.. معقول، فاجئني بحركته وصراخه، بالكاد أجاب على تساؤلاتي عن سبب هياجه، فقال لي: إن الشخص الذي أحضروه أمامهم على أنه يريد تفجير المرقد الحسيني، كان شخص آخر لا يشبه بأي حال هذا المعروض على الشاشة أمامنا.

بعد سنة أو أكثر قليلاً سمعت أن هذا المناضل البعثي تمَّ إلقاء القبض عليه بتهمة الانتماء لحزب الدعوة، تمَّ إعدامه دون أن تسلم جثته لذويه عدا كتاب من مدير مديرية الأمن يقول إنه تمَّ إعدامه لانتماءه لحزب الدعوة العميل.

لا أدري كم من البعثيين ارتد بنفس طريقة صديقي المرحوم، وكم منهم من احتفظ بنقمته بقلبه خوفًا؟ مع ذلك فإن أول حركة مقاومة جدية لقوات الاحتلال

الأمريكي المتقدمة باتجاه بغداد انطلقت من مدينة الناصرية – كما سيأتي الحديث عنها – في الوقت الذي لم نسمع خبرًا عن إطلاق ولا طلقة بندقية على الأقل تجاه القوات الأمريكية المتقدمة من الشمال، التي كانت بعهدة عزة الدوري، الجندي الفار والمتخلف عن الخدمة العسكرية الذي ألبسه صدام البدلة العسكرية مع رتبة فريق ركن وانتدبه مسؤولاً عن قاطع الشمال، كأن الفرار سليقة وطبع متجذر في تركيبته السيكولوجية.

## من هو سمير نور علي، منفذ عملية الجامعة المستنصرية؟، وما علاقته بإيران وحزب الدعوة؟

في أحد أيام شتاء أواخر عام ١٩٧٦، قال لي أحد معارفي إنه تكلم عني مع اثنين من أصدقاءه، فطلبوا بإلحاح رؤيتي، دون أن يوضح لي ما يرغبون به، عدا أنهم من الشباب اليساريين ويحبون الاستفادة من تجربتي في المقاومة الفلسطينية، وفعلاً حضرا إلى بيتي في اليوم التالي، كانا في بداية العشرينات من أعمارهم، قدما نفسيهما على أنهما من المؤمنين بالفكر الشيوعي – خط تروتسكي والثورة الدائمة – وأنهما ثقة بمن أحضرهم وما عرفاه من تجربتي كوني كنت ضابطًا معارض للنظام ولي تجربة بالمقاومة الفلسطينية، لذلك يتمنيا لو أني وافقت على تدريبهما على السلاح، فهما ومعهم مجموعة من الشباب ينويان تنفيذ مجموعة من العمليات ضد النظام كخطوة تجاه تحقيق الثورة المستمرة، كما كشفا لي أنهما مع المجموعة يمتلكان قطعتي سلاح كلاشنكوف ومسدس على ما أعتقد وأتذكر من نوع توكاريف، كان اسم أحدهما والأكثر اندفاعًا هو سمير نور علي، الثاني كما عرفت أنه ما زال يعيش في ألمانيا لا أتذكر من اسمه غير الاسم الأول محمد.

كنت حينها مشمولاً بقرار عفو من حكم إعدام أصدرته محكمة أمن الثورة بتهمة التآمر على الحزب والثورة، لذلك أربكني طلبهما بل وأرعبني، خاصة وأن لا معرفة مباشرة تربطني بهما سابقًا، حاولت التهرب من طلبهما بالنصيحة بألا يندفعا ويتعجلا، وأن يبذلا جهودهما لتوسيع التنظيم قبل التفكير بأي عمل مسلح، كان الجميع سمير ورفيقه ومعرفتي الذي جاء بهما طلاب في كلية السياسة والاقتصاد بجامعة بغداد، كنت حينها أنا أيضًا أدرس في الجامعة المستنصرية – الدراسات المسائية – كلية الآداب – قسم الإرشاد النفسي والتربوي.

التقيت بسمير بعدها أكثر من مرة، واحدة في الجامعة المستنصرية، وكما أخبرني أنه جاء للقاء صديق له، تمشينا لوقت قد لا يتجاوز النصف ساعة، ثم التقينا عدة مرات بأحد معسكرات العمل الشعبي الإجبارية للخريجين أو طلاب السُنَّة الأخيرة من مختلف الكليات والجامعات في صيف عام ١٩٧٨، كنا نسرق بعض الوقت في ساعات الليل المتأخرة لنجلس نتداول همومنا السياسية، حتى تلك السُنَّة كان سمير أبعد الناس عن الدين أو الطائفية فهو لا يخفي ميوله العلمانية – التروتسكية.

بعد سنة من هجرتي من العراق، كنت في فرنسا في حينها عندما سمعت بحادث المستنصرية ومحاولة اغتيال طارق عزيز التي نفذها صديقي سمير نور علي نفسه.

أستطيع أن أقدم الآن شهادة للتاريخ: أعرف جيدًا المشاركين بالعملية أو المخططين الرئيسين لها، كما هم يعرفوني جيدًا وما زالوا أحياء، إن سمير كان من الأكراد الفيلية وأبيه صاحب محل لبيع الثريات في سوق الشورجة، شاب وطني عراقي أصيل لا علاقة له بإيران لا انتماءً ولا ولاءً، شيوعي، تروتسكي كان يقود مجموعة تتراوح بين ٥–٦ أفراد بنفس الميول، أي شيوعيين على خط تروتسكي.

ملخص القصة، كما فهمتها فيما بعد من القريبين من الواقعة، أن سمير وبعض الطلاب غير البعثيين أو المعادين لحزب البعث من اتجاهات مختلفة إسلامية ويسارية وقومية كانوا يتكتلون في الكلية (كلية الاقتصاد والسياسة) بعلاقات صداقة، أحدهم كان عضوًا في منظمة العمل الإسلامي (صادق الشكرجي)، انتبه صادق لتوجهات سمير فراح يشجعها، وهو الذي أحضر الرمانتين اليدويتين اللتين استخدمهما سمير في العملية، وبناء على طلب سمير وبوقت أقدم بكثير من تنفيذ عملية المستنصرية، قد يكون كل من عبد الله الموسوي والشيخ حسين الحسيني، عضوا المنظمة لهما دورًا في إحضار الرمانتين، فكانت عملية الجامعة المستنصرية.

إني لمتأكد أن العملية وبقدر تعلقها بسمير لا علاقة لها بإيران أبدًا، ولا بحزب الدعوة أو منظمة العمل الإسلامي، هي إرادة خاصة وفكرة خاصة بسمير نفسه وفهمه الخطأ لمفهوم الثورة المستمرة التروتسكية، إلا إذا كان المقصود بهذه العلاقة ارتباطات صادق الشكرجي، وهو عراقي من أصول عربية بدليل لم تخضع عائلته للتسفيرات التي شملت العراقيين من أصول إيرانية.

أتذكر جيدًا في أحد لقاءاتنا في معسكر العمل الشعبي سألني سمير عن رأيي في مجزرة صفر ١٩٧٧ التي تعرض لها المشاة الشيعة، كانت وجهة نظره أنها عملية طائفية قذرة يريد النظام من خلالها مشاغلة الناس عن همومهم الطبقية، ومحاربة تيار اليسار بدفع الناس للانغماس بالتناحرات الطائفية، ولا استبعد أن انعكاسات العملية النفسية هي ما أثرت بسمير للقبول بالتعاون مع منظمة دينية وهو اليساري العلماني.

شاءت الصدف أن يستغل صادق علاقته بأحد أقاربي ليلجأوا إلى إحدى المنظمات الفلسطينية مستغلين علاقتي بها، وادعى صادق معرفته بي وأنه معرض للاعتقال لأنه عضو في حزب الدعوة، دون أن يخبر أصدقائي بدوره في عملية المستنصرية، ساعدتهم المنظمة في السفر بجوازات سفر مزورة،

إكرامًا لي رغم أنهم لم يعلموني بالأمر إلا بعد تسفيرهما صادق إلى بلغراد في يوغسلافيا ومنها سافر إلى طهران.

يبدو أن المخابرات العراقية اكتشفت فيما بعد علاقة صادق بعملية المستنصرية، فظلت تتابعه للانتقام، وفعلاً تمكنت من دس السم له مع عبد الله الموسوي، عن طريق أحد المعارف، شفي عبد الله الموسوي بسرعة إلا أن صادق تعرض لشلل نصفي، أعاقه عن المشي أو الحركة بشكل طبيعي، دون الاعتماد على كرسي متحرك، عاد بعدها إلى إيران وضاعت أخباره عني.

كانت المجزرة التي خطَّط لها عزة إبراهيم بذكاء وتقصد أو بغباء وعنجهية الصبي في محل بيع الثلج؛ الذي أراد أن يؤكد ذاته وقدرته وينتفض على مرارة تاريخ الضعة والدونية التي كان يعيشها، تلك كانت الخطوة الأولى تجاه ما نراه من احتراب طائفي، فلأول مرة يُقتل الشيعي لا لذنب أو موقف سياسي معارض، أو لشك ما يمكن أن يمس بوطنيته، بل فقط لأنه شيعي.

قدَّم عزة بعمله هذا خدمة كبرى لحزب الدعوة، وهو أنشط الأحزاب والتجمعات الدينية على الساحة العراقية، كان النظام ينسب للحزب كل العمليات التي جرت في حينها حتى عملية الجامعة المستنصرية، وجد الشباب الناقم علي سلوكيات النظام التي أصبحت طائفية مكشوفة لا تقبل اي تفسير آخر ؛ تعبيرًا عن غضبهم ورفضهم لهذا التمايز الطائفي للنظام، في حزب الدعوة خير وسيلة للتعبير عن غضبهم وتحديهم، عززت الثورة الإسلامية في إيران معنويات الحزب وأعضائه بإمكانية إسقاط النظام، ثم قام النظام بإعدام المرجع السيد محمد باقر الصدر وأخته بنت الهدى.

أربك توسع حزب الدعوة، وامتداد تنظيماته في بغداد ومدن الجنوب بسرعة لم توقفها الإعدامات الكيفية لأعضاءه، ولا القانون المجحف الذي أصدره صدام باسم مجلس قيادة الثورة، الذي ينص على إعدام أي شخص يرتبط بالحزب بغض النظر عن مدة ارتباطه، وينفذ بشكل رجعي، أي أنه يشمل حتى من كان

مرتبطًا بالحزب وانسحب منه أو ترك الالتزام به[1].. لم يجد النظام أمامه غير إعدام السيد محمد باقر الصدر، وأخته الفاضلة بنت الهدى، كمحاولة لدفع حزب الدعوة ليصعد عملياته ويكشف عن منظوماته السرية، كما فسر لي ذلك في لقاء شخصي بلندن عام ١٩٨٢، مدير مكتب نعيم حداد أسباب تهور النظام بإعدام الشهيد الصدر والشهيدة أخته[2].

يحتل باقر الصدر عند شيعة العراق مكانة خاصة مميزة وفريدة، إضافة لما كان يطرحه السيد باقر الصدر من الاجتهادات العلمية الجديدة المميزة، التي ساهمت بذيوع شهرته كنموذج جديد من المراجع، يقف بعيدًا بخطوات كبيرة عن المرجعيات التقليدية، كما ظهر ذلك من خلال كتبه اقتصادنا وفلسفتنا، البنك اللاربوي؛ وغيرها من الدراسات والاجتهادات التي تناولها بلغة جديدة تختلف عن لغة الحرام والحلال التي اعتاد المراجع الذين سبقوه ترديدها، كما هو عربي – عراقي يمثل رمز لعودة الحوزة لهويتها العربية.

أما عن علاقة الصدر بإيران الدولة، يمكن فهمها من خلال علاقة الصدر بالخميني خلال فترة عيشه في العراق، أي علاقة شخصية بين مرجع ومرجع، أو "عالم بعالم" كما وصفها الصدر، عند استجوابه من قبل فاضل البراك مدير الأمن العام في إحدى مرات اعتقاله، ليس لها أي صفة أخرى، كأن تكون علاقة رجل مع أي مؤسسة من مؤسسات الدولة الإيرانية لا في زمن الشاه ولا في عهد الخميني[3].

بالعكس تمامًا قد يكون الخلاص من السيد محمد باقر الصدر رغبة خفية عند بعض المؤسسات الإيرانية، كما هي رغبة النظام البعثي من إعدامه، هذا ما يفسر الأسباب التي دفعت الإذاعة الإيرانية الناطقة باللغة العربية أن تذيع نص

---

**١- يمكن الإطلاع على نص القرار في: علي المؤمن، مصدر سابق، ص:٤٣٦.**

**٢- يمكن الإطلاع حول تصاعد الخلافات بين النظام والسيد محمد باقر الصدر في: محمد رضا النعماني، مصدر سابق.**

**٣- نفس المصدر، ص: ٢٢٧.**

المكالمة التليفونية بين السيد الصدر والخميني، التي كانت سببًا في مضي النظام لمحاصرة الصدر ومن ثم إعدامه[1]، إذا كان صدام حسين يريد بإعدامه إهاجة وكشف الخلايا السرية لحزب الدعوة، لتخرج من مخابئها دون أن تكون مستعدة كليًا للمواجهة وإسكات صوت معارض جريء.

لعل بعض المؤسسات الحكومية أو الدينية الإيرانية كانت تتمنى أو تريد عمدًا أن تدفع صدام من خلال إذاعة تلك المكالمة بتكرار، أن تحقق غرضين: أولهما التخلص من مرجعية عربية واعدة يمكن أن تهدد نفوذ المرجعيات الإيرانية في العراق مستقبلاً، ثانيهما: ما يترتب على هذا الإعدام من انتفاض وثورة أتباع الصدر لحد الانتصار، وإسقاط نظام صدام حسين، أو على الأقل مشاغلته بأزمات داخلية يمكن أن تضعف وضعه في الحرب.

لا شك أن مقتل الصدر عزز بقوة التوجهات الطائفية عند المتدينين الشيعة، لكن الطائفية الشيعية في هذه المرحلة لم تكن موجهة ضد إخوانهم من أبناء الطائفة السُنّية، بل ضد حزب البعث ونظامه المتهم بالطائفية.. تجسد هذا التوجه بشكل مكثف بعد الهزيمة التي مُني بها النظام في حرب الكويت، في الانتفاضة التي اندلعت في مدن الجنوب والوسط، إن التحليل المنطقي والعقلاني الموضوعي للانتفاضة يرغم الباحث للتقليل من أثر التوجهات الطائفية الكامنة وراء تلك الانتفاضة[2].

---

**١- نفس المصدر، ص: ٢٦٥-٢٦٨.**

**٢- للإطلاع على أحداث الانتفاضة وأسبابها يمكن من وجهات نظر مختلفة بالعودة إلى الملف الخاص بالانتفاضة الذي نشرته دورية دراسات عراقية.. العددان ٤ و٥، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٧، ص: ٢٥٤ – ٢٧٥. لاحظ أيضًا: عادل رؤوف، العمل الإسلامي في العراق، دمشق: المركز العراقي للدراسات والإعلام، ٢٠٠٦، ص: ٤٣٣-٤٧٥.**

**انتفاضة ما بعد حرب الكويت:**

يشكِّل شيعة العراق ما يقارب الـ ٦٠% من تعداد العراق، ولنقل إنهم يمثلون نسبة ٥٠% وحتى أقل، هم عرب عراقيون، هموم الوطن تمثل همومهم الخاصة كعراقيين بغض النظر عن انتمائهم الطائفي أو ولائهم المذهبي، كان وقع الهزيمة التي تعرض لها الجيش العراقي شديد عليهم كمواطنين عراقيين، فالجيش جيشهم، والبلد بلدهم.. كان تهور صدام الذي ظل إلى يوم الحرب يبشر بالانتصار وهزيمة الأمريكان، هو السبب في ما جرى لهم كجزء من الشعب العراقي، يبقى للحرب أيضًا انعكاساتها النفسية على الإنسان العراقي بغض النظر عن انتماءه الديني أو الطائفي، لسنا بصدد مناقشتها تفصيلاً، ذلك ما يحتاج لدراسة خاصة..

تفاعلت تصرفات باقر الحكيم والإعلام الإيراني مع إعلام صدام لصبغ الانتفاضة بالصبغة الطائفية، أراد الحكيم أن يُظهر الانتفاضة على أنها انتفاضة أنصاره؛ ليعزز دعاويه بكونه يحوز على قدر كبير من الأتباع في الداخل، في حين أنه جند أنصاره في إيران خلال فترة الانتفاضة التي استمرت حوالي شهر؛ ليرابطوا على الحدود لمنع تسلل أي متطوعين ينوون الدخول للعراق للمشاركة بالانتفاضة، لم يرسل أي مساعدات كالسلاح أو المال أو أي شيء من هذا القبيل لدعم المنتفضين، بل أرسل وبالاتفاق مع القوات الأمريكية السيارات المحملة بصوره لإلصاقها على الحيطان أو لدس بعض من أنصاره بين المنتفضين، رافعي صورته[1].

لعل هذا هو السبب الأقوى، الذي يجب أن يُؤخذ بالحسبان كعامل من عوامل فشل الانتفاضة وعدم امتدادها للمدن السُنّية، أعطى باقر الحكيم ومن وراءه الإعلام الإيراني عامل قوة ودعم لصدام حسين لينقض على مدن الانتفاضة

---

١- عادل رؤوف، مصدر سابق، ص:٤٤٤-٤٤٥.

بقسوة، مثيرًا رعب السُنَّة والضباط منهم خاصة، من طائفية الانتفاضة، الذين ما زالوا يحملون توجهات العداء لإيران بعد حرب ٨ سنوات، لم يمر الوقت الكافي لمحوها، ما جعل الكثير منهم يعتقد أو يرى الانتفاضة وكأنها امتداد لتلك الحرب لتعوض إيران عن خسارتها، لذلك اندفعوا بقوة ضد الانتفاضة، مع أن إشارة الإعلان أو البدء بالانتفاضة كان قد أطلقها ضابط سني بعثي؛ شاهد صورة كبيرة لصدام حسين في مدخل مدينة البصرة خلال انسحابه من الجبهة، فقام بإطلاق النار عليها بصليات متعددة.. مؤشر يكشف حجم امتعاض الجيش واستياءه من تهور صدام الذي ورطه بحرب غير متكافئة، كما يثير الإيحاء باحتمال تمرد عسكري سينقلب على النظام ويستبدله، نقلت الحادثة في حينها محطة **CNN**، وتناقلتها بقية المحطات، فكانت كالإعلان للبدء بالانتفاضة الشعبية.. تحركت خلايا حزب الدعوة النائمة للمشاركة بالانتفاضة للسيطرة عليها وتوجيهها[1].

إن فهم سيكولوجية الحكيم تمكن الإنسان من القول: بقدر ما حاول استثمار الانتفاضة دعائيًا لدعم مركزه عند الدول المحيطة والمجاورة للعراق متظاهرًا بالقدرة على تحريك الجماهير الواسعة، كانت أمنياته تتجه نحو الرغبة في إفشال الانتفاضة التي يمكن أن تُحسب انتصاراتها لصالح حزب الدعوة.

إن القسوة التي استعملتها قوات النظام ضد المنتفضين تقتيلاً، مع زج الآلاف في السجون والمعتقلات، ومعاملتهم بقسوة، مع إعلام غبي ظل يشكك بأصول الشيعة ويجردهم من هويتهم العربية بروايات مفبركة، وشعارات "لا شيعة بعد اليوم" المكتوبة على دبابات حسين كامل، أثارت مشاعر الأسى والخيبة عند الشيعة تجاه إخوانهم السُنَّة الذين تخلوا عن مؤازرتهم، وتركوهم عرضة للقمع الوحشي للنظام، إن تأجج المشاعر الطائفية عند الشيعة حتى ذلك الوقت كانت موجهة ضد النظام فقط، وليست ضد إخوانهم السنة.

---

١- نفس المصدر، ص: ٤٣٦ – ٤٤١.

إن تراكمات تلك الأحداث، وما تعرض له الشيعة من إرهاب وقمع جمعي بعد حرب الكويت هي ما هيأ العقل الشيعي لقبول التحريض الطائفي والميول الطائفية التعصبية عند الشيعة التي بدأت جماعة الحكيم وأمثالها من الجماعات التابعة لإيران، تحفزها.

أعيد تكرار وتلخيص تطورات الطائفية عند الشيعة للتأكيد، إن الصورة الطائفية حتى يوم الاحتلال عند تجمعات الشيعة تمحورت في توجهاتها على الشكل التالي:

**جماعة الصدر: اتجهت توجهاتهم الطائفية نحو ما يلي:**

التحدي والرفض، بل والكره لنظام طائفي مارس كل أشكال العنف والقمع ضد الشيعة، تطور هذا الاتجاه ليتخذ شكل الميل العدائي للبعث بعد اغتيال السيد محمد صادق الصدر، بقي إلى حد نسف مرقدي الإمامين العسكريين محدد في اتجاهه نحو النظام والبعث فقط، وليس ضد سنة العراق بالمطلق.

كان هذا التيار وما زال يمثل توجهًا يتمركز حول الاعتزاز بهوية التشيع العربية، وعودة المذهب لأصوله العربية، مع نفور من التأثيرات الإيرنية أو محاولات المؤسسة الشيعية الإيرانية للهيمنة على المذهب.

**حزب الدعوة:**

يمثل اتجاه كُره وعدوانية ضد البعث، دون أن يعمِّم توجهاته لسائر السُنَّة في العراق أو الوطن العربي، بالعكس ظل الحزب إلى ما بعد الاحتلال يُظهر اعتزازه بأطروحات سيد قطب ويتطلع لوحدة إسلامية تنتفي فيها الحساسيات الطائفية، إلا أن هذا لا ينفي وجود تيار داخل الحزب يشعر بالنفور من السُنَّة عمومًا.

موقفه من إيران يتذبذب بين النفور والقبول تبعًا للموقف الإيراني منه، مع اعتزاز لا يُخفى بأصوله العربية دون حساسيات قومية تجاه القوميات الأخرى، يحترم الخميني كاحترامه لبقية المجتهدين أو المراجع دون القبول بأطروحاته الفقهية بما يعرف بولاية الفقيه، تعاون مع إيران كأي حزب يبحث عن قواعد تسمح له للانطلاق بالعمل والتجمع، تقلصت علاقاته مع إيران بشكل ملحوظ بعد أن بدأت جماعة الحكيم تتحرك بنشاط ظاهر ضده، وبعد أن وجد له القواعد البديلة في سوريا وبريطانيا.

**جماعة الحكيم:**

تميزت بولائها المطلق لإيران، والتمسك بما يسمونه بالولاء للولي الفقيه، الخميني ومن بعده خامئني، بميول لا تخلو من الانتهازية في استثمار هذا الولاء في خدمة الطموحات الخاصة لأبناء الحكيم في السيطرة الكلية على شيعة العراق بما يحقق نزعاتهم المرضية للسيطرة والتعالي على البشر، هم أكثر تيارات الشيعة المعروفة بتوجهات الكره والعداء لعموم السُنَّة دون أن يظهروها علنًا أو يصرحوا بها، لكنها تكشف عن طبيعتها من خلال شعارهم المركزي "مظلومية الشيعة"، واندفاعهم في تشجيع الشعائر الغريبة وغيرها من البدع التي تسفه المذهب... يحملون نفس مشاعر الكُره الشعوبي لكل ما هو عربي، شيعي وسني، ويتداولون فيما بينهم مصطلح (معيدي) لتوصيف العربي حتى لو كان من أتباعهم.

كنموذج لألاعيبهم بالألفاظ والمصطلحات، موقف باقر الحكيم من المؤتمر الوطني الذي طرحه أحمد الجلبي، أيدوا المؤتمر بالبدائية بأمل الإقرار برئاسة باقر الحكيم له، إلا أن إصرار الأطراف الأخرى على تكون القيادة ثلاثية، قال باقر الحكيم إن قيادة من هذا النوع تكرس الانقسام الطائفي، ثم أضاف اعتراضًا آخر هو أن الشيعة في العراق يمثلون نسبة أكثر من ٦٥%، ما يغدو

غبناً لهم وتكريسًا لمظلوميتهم أن تكون حصة تمثيلهم بالثلث كما بقية مكونات الشعب العراقي، لذلك لم يحضر المؤتمر لكنه أرسل مندوبين عنه للمشاركة[1].

دعى باقر الحكيم منذ الأيام الأولى إلى تطبيق الفدرالية وتقسيم العراق؛ يقول باقر الحكيم تبريرًا لذلك: "أصل فكرة الفيدرالية لا تعني التجزئة، بل قد تكون حلاً لبعض مشكلات هذا البلد أو ذاك".. وهو الوحيد من بين أطراف المعارضة الذي أيد مشروع الملك حسين لبناء عراق بثلاثة تجمعات فدرالية[2].

الموقف الآخر من نماذج هذه الانتهازية واللعب على عقول البشر، كان موقف عبد العزيز الحكيم من التوقيع على الدستور الذي أحضره بريمر جاهزًا من أمريكا، حضر حفل التوقيع، لكنه رفض التوقيع شخصيًا عليه، بحجة أنه دستور غير شرعي لا يمت للشريعة الإسلامية بصلة، رشح عادل عبد المهدي ليوقع نيابة عنه كممثل لحزب المجلس الأعلى!

السؤال: ما الفرق؟، وهل كان المجلس يعني شيء غير تجمع لأنصار آل الحكيم وهل يستطيع عادل أن يتخذ هذه الخطوة بمحض إرادته؟، ثم هو لم يوقع بصفته الشخصية بل كنائب أو ممثل للمجلس، لم يتردد عبد العزيز فيما بعد في تصريحاته عن القول إن الدستور مرجعيتنا، وليس الشريعة، كرر ذلك عدة مرات في عدة مقابلات لتبرير وشرعنة دعوته لفصل المحافظات الشيعية الجنوبية بفدرالية بسلطات تتمتع بالاستقلال على نمط المنطقة الكردية، واضح جدًا أن الغاية من هذه الدعوة هي خطوة نحو تفكيك العراق، متممة لما كان يطرحه باقر الحكيم حتى في مرحلة ما قبل الاحتلال.

---

١ – نفس المصدر، ص: ٣٤٠-٣٤١.

٢ – نفس المصدر، ص: ٣٢٧.

**منظمة العمل الإسلامي:**

اختفت من الساحة كتجمع أو تيار سياسي، إلا أنها بقيت تمارس نشاطاتها في الخارج كجماعة مقلدي الشيرازي، ما زالت أينما تواجدت مجموعاتها تمارس نشاطاتها المكثفة في إحياء الشعائر الحسينية.

تلك كانت صورة التوجهات الطائفية في ساحة العمل السياسي عند الاحتلال، وبقيت تقريبًا بنفس الحال إلى يوم تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء، الحدث الذي لا أُبرأ وزير الداخلية في حينها باقر صولاغ، عضو قيادة الحكيم من دور في هذا التفجير، صغير أو كبير؟!.

**المقاومة العراقية والطائفية:**

**معركة جسر الناصرية:**

من الناصرية، المدينة التي عانت كثيرًا من قمع صدام وأجهزته، انطلقت الشرارة الأولى للمقاومة، حتى قبل أن تصل القوات الأمريكية إلى بغداد، في فجر ٢٣ آذار ٢٠٠٣، أرسل الأمريكان وحدة من قوات المارينز لتأمين وحماية مرور القوات المتقدمة نحو بغداد على الجسرين الذين تمت إقامتهما في المدينة، بتوقع أن يستقبلهم أهالي المدينة بالورود والترحيب، لأن الغالبية المطلقة من أهل المدينة هم من الشيعة، ومن ضحايا ممارسات صدام القمعية، إلا أن قوات المارينز تعرضت لهجوم قوي من قبل عشرات من أهل المدينة، تصف صحيفة نيويورك تايمز المفاجأة التي اصطدمت بها القوات المتقدمة "فوجئوا عندما وجدوا أن القليل منهم فقط كان يرتدي بدلات عسكرية، ذلك أن أغلبهم كان مرتديًا اللباس الأسود الذي يلبسه الشيعة، والحال أنه كان يُفترض أن يكون الشيعة إلى جانب الأمريكان" (عدد ٢٠ /١١ /٢٠٠٦).

قتل في هذه المواجهات ١٨ من جنود المارينز، وتقول صحيفة نيويورك تايمز: "في ما تبين لاحقًا أنه أكثر مرحلة دموية من مراحل الغزو"، تأخر بسببها الجيش الأمريكي من التقدم لعدة أيام واضطرت دبابات المارينز أن تسلك طريقًا تفضي لمستنقعات أدت إلى غرق الآليات العسكرية وأخرت تقدمها، ما لم تذكره الصحيفة هو العملية الفدائية الاستشهادية التي قامت بها إحدى بنات المدينة التي واجهت بسيارتها المفخخة الدبابات الأمريكية لعرقلة تقدمها، بنفس الوقت الذي كان فيه الصبي بياع الثلج عزة الدوري ينعم بمكرمة مسعود بحمايته مقابل مئات الدبابات والمدفعية الثقيلة العراقية التي سلمها للأكراد.

ما قد يتفاجأ به الكثير أن جوهر القوة العراقية المهاجمة في عملية جسر الناصرية، كانت من أعضاء حزب الدعوة، الهاربين من قمع النظام بالأهوار، تسندهم عناصر مدنية من القوميين من خط المرحوم فؤاد الركابي، وأخرى مستقلة من المدنيين الذين يريدون الدفاع عن ديارهم ضد غازي أجنبي.

كان حزب الدعوة ولحين وقوع الاحتلال ووصول القوات الأمريكية إلى بغداد منقسمًا بين تيارين أو وجهتي نظر، فرع سوريا الذين كان يرى أن واجب الحزب أن يُنظم أو ينضم إلى مقاومة الاحتلال، وفرع بريطانيا الذي يرى ضرورة التعاون مع المحتل كي لا يجري للشيعة من مقاطعتهم ما جرى في بدايات الاحتلال البريطاني، لم يكن الأمريكان غافلين عن هذا الاتجاه، ليجبروا الخط السوري أو خط المالكي على التعاون، أحضروا عميلهم التاريخي باقر الحكيم بتلك الطريقة الاستعراضية لمواجهة الخط الرافض للتعاون من حزب الدعوة وجماعة الصدريين، ليقولوا لهم جميعًا، ها هو البديل الممثل للشيعة موجود، نجحت اللعبة الأمريكية، وافق المالكي على التعاون مفضلاً أن يبقى بعيدًا عن اللعبة، ولم يُذكر له اسم طيلة الثلاث سنوات الأولى من الاحتلال، إلى أن بدأ جماعة الحكيم يتآمرون على الجعفري لإسقاطه وإحلال من يمثلهم محله فاندفع المالكي باللعبة.

عندما بدأت التحضيرات لاحتلال العراق قمتها، أصدر حزب الدعوة في حينها أمر لأنصاره ومنتسبيه في أوروبا بضرورة العودة للعراق لتنظيم مقاومة ضد الاحتلال، أما جماعة الحكيم فأصدرت نفس الأمر لتابعيها أي العودة للعراق، لأن الإمام المهدي المنتظر سيخرج وعليهم القتال تحت رايته.

إن عملية جسر الناصرية تؤكد أصالة وتمسك أبناء المدينة باستقلال وطنهم ورفضهم لأي احتلال أجنبي، فهي امتداد لعملية الشجرة المباركة الخبيثة التي أعاقت تقدم القوات البريطانية عند الشروع باحتلال العراق في عام ١٩١٤، (اقرأ قصتها كاملة في الفصل الثالث من هذا الكتاب).

لو عدنا لتفاصيل مجريات الحرب، لوجدنا أن نفس التاريخ الذي يقاتل فيه أهل الناصرية الذين يريد عزة أن يجردهم من عروبتهم ويتهمهم بالخيانة والعمالة لإيران ملصقًا بهم صفة الصفوية، بالضبط نفس اليوم كان عزة يسلم دون أن تطلق قواته ولا إطلاقة واحدة، المعسكرات التي بعهدته لعصابات مسعود البرزاني بما فيها من أسلحة ثقيلة، مقابل الحفاظ على سلامته وتأمين حمايته، ثم يهرب للسعودية ليظهر بعد انسحاب الأمريكان بكل وقاحة ليدعي أنه قائد المقاومة، وقد كان ينعم طيلة الفترة حتى نهاية عام ٢٠١١، بالحماية والرعاية السعودية له ولعائلته، يظل السؤال الضاغط، هل يمكن أن يتحدى مسعود البرزاني والسعوديين الأمريكان من أجل عيون عزة العسلية؟! أن يشهد لك العدو ولو بعد سنوات عن محنته التي صادفها، خير من ألف عملية من عمليات مقاومة عزة الوهمية على الإنترنت.

## تشكل المقاومة وبداياتها:

انبثقت المقاومة العراقية كموقف وطني حيال احتلال أجنبي لا دخل له بانتماءات المبادرين، أو بتوجهاتهم نحو النظام ضد أو مع، دون أي حساسيات طائفية، نواياتها الأولى كانت قد تشكلت حسب المناطق بشكل عفوي، أينما وجد

مجموعة من الشباب في المنطقة الواحدة، يملكون السلاح ليتصدوا لهذه الدورية الأمريكية أو تلك الدبابة التي تمر قرب منطقتهم، لذلك ظهرت في الأسابيع الأولى ما بعد الاحتلال أسماء عديدة لتنظيمات سرعان ما تختفي، إن هذه النويات بدأت تتكتل وتتعاون، فتشكلت بأربع فصائل رئيسية[1]:

**١: جيش محمد:** غالبيته من الضباط والعسكريين من بقايا الجيش الوطني، وغالبيتهم أيضًا ممن كان ينتمي لحزب البعث، لم يطل العهد بهذه المجموعة بعد أن شاهدت قياداتها تستسلم بإذعان وذل لقوات الاحتلال، ثم انتشار خبر هروب عزة الدوري إلى السعودية، ما يعني وجود تآمر من داخل قيادة صدام على العراق والحزب وصدام نفسه، فليس من المعقول أن تتولى السعودية نقل عزة الدوري إلى أراضيها وتوفر له الحماية الكاملة، ما لم يكن هناك اتفاق مسبق بين عزة والمخابرات السعودية منذ زمن يتجاوز كثيرًا بالسبق لزمن الاحتلال، لا شك أنه كان من العوامل الكبرى التي أحبطت معنويات أعضاء التنظيم.

**٢: فدائي صدام:** كما هو واضح من الاسم غالبيتهم من الشباب البعثيين، يقودهم أو يقف بالدعم ورائهم عدي وأخوه، لذلك اختفت أخبار هذه الفصيلة بعد مقتل الأخوين عدي وقصي، واختفى اسمها من قائمة العمليات المواجهة قوات الاحتلال بعد اعتقال صدام حسين.

---

١- حول بدايات تَشكل المقاومة العراقية راجع:

- عادل الجوجري، أسرار وخفايا المقاومة العراقية، القاهرة: دار الكتاب العربي ٢٠٠٥.
- د. عبد الكريم العلوجي، ٥ سنوات احتلال: أين العراق اليوم، دمشق، ٢٠٠٨.
- حسن خليل غريب، المقاومة الوطنية العراقية، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٤.
- د. موسى الحسيني، المقاومة العراقية والإرهاب الأمريكي المضاد، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٧.

**٣: كتائب ثورة العشرين:** تنظيم يجمع مختلف الوطنيين العراقيين، غالبيتهم من أبناء الطائفة السُنّية، ساهم بتشكيل هذه الجبهة بفعالية ونشاط هيئة علماء المسلمين بقيادة الشيخ حارث الضاري، كانت عملياتها تتميز بالدقة والفاعلية أكثر من أي من بقية الفصائل المقاومة، كانت مع الجبهة الوطنية لتحرير العراق تمثل تعبيرًا عن مقاومة شعب لا دخل له بالبعث.

**٤: الجبهة الوطنية لتحرير العراق:** تجمع وطني أسسه مجموعة من القوميين الناصريين (تيار الشهيد فؤاد الركابي)، مع مجموعات من البعثيين انضموا للجبهة بصفاتهم الشخصية وشخصيات مستقلة، انضمت للجبهة فيما بعد فصيلة من الشباب القومي الأحوازي من عناصر الجبهة العربية لتحرير الأحواز، أصدرت الجبهة جريدة باسم "صوت الحق"، صدر منها سبعة أعداد على فترات مختلفة بين كل أسبوعين وشهر أحيانًا، كانت الجبهة تجمع يضم عناصر شيعية وسنية عملوا بشكل مشترك دون أي اعتبار لانتماءاتهم الطائفية، يجمعهم حب الوطن والرغبة في الخلاص من الاحتلال، اعتمدت الجبهة في تمويل عملياتها على مساهمات وتبرعات أعضائها دون مساعدة من أي طرف آخر باستثناء هيئة علماء المسلمين التي تكفلت بدعم عوائل من يستشهد منهم.

لم يطل العهد بنشاطات كل من جيش محمد وفدائي صدام، واختفت كليًا نشاطاتهم من الساحة بعد إلقاء القبض على صدام حسين، وهروب عزة الدوري للاختباء في السعودية، ثم مقتل عدي وقصي.. يمكن تفسير هذا الغياب بسبب خيبة مناضلي الفصيل بما شاهدوه من هروب قياداتهم وتخاذلهم، ما جعلهم مكشوفين وعرضة لضغوطات العيش والتسليح، انضم غالبية ضباط جيش محمد إلى كتائب ثورة العشرين وقلة منهم التحق بصفوف الجبهة الوطنية لتحرير العراق، وتلاشت نشاطات فدائي صدام دون أن يعرف مصير أعضاء التنظيم.

هرب عزة الدوري من ساحة المعركة دون أن يسمع أحد صوت ولو إطلاقة واحدة من قطعات الشمال التي بعهدة عزة تجاه القوات الأمريكية التي تقدمت من الشمال، ملتجئ في البدء لمنطقة نفوذ مسعود البرزاني، مقابل تسليمه الأسلحة والمعدات في المعسكرات والقواعد العسكرية العراقية التي كانت تابعة له، ثم انتقل إلى السعودية للاختباء هناك رغم أن جماعته كانت تروج لفكرة أنه موجود في اليمن، إلا أن المعلومات المؤكدة من عائلته أنه كان يعيش وعائلته في السعودية، كان هذا مؤشر خطير يترجم أو يفسر الكثير من تصرفات عزة بعد ظهوره من غيبته هذه عقب انسحاب القوات الأمريكية من العراق، فلا مسعود ولا السعودية يمكن أن يجازف بمثل هذه الخطوة دون موافقة أمريكية مسبقة لحماية واحد من المطلوبين لها.

شكلت الجبهة الوطنية لتحرير العراق صورة فريدة للتآخي الطائفي البعيد جدًا عن أي مؤثرات طائفية، تجلى ذلك بوضوح من خلال التعاون والتنسيق بين قيادة الجبهة وهيئة علماء المسلمين ومعها كتائب ثورة العشرين التي كانت تضم أيضًا عناصر شيعية ولو بشكل محدود، في أواخر ٢٠٠٥ بدأت تظهر على الساحة بدعم مالي قطري – سعودي، تجمعات لا تخفي توجهاتها الطائفية، هي في الغالب تجمعات صغيرة منشقة من كتائب ثورة العشرين أو بقايا جيش محمد، كما ساعدت الأموال الخليجية على كسب مجموعات من الضباط الجيش الوطني العراقي المنحل لتتشكل عدة فصائل أخرى، كانت أسماء لتنظيمات تقود معارك على الإنترنت في الغالب.

اتخذت سلطة الاحتلال والجماعات الموالية لها، من علاقة كتائب العشرين بهيئة علماء المسلمين أرضية لاتهام المقاومة بأنها ليست إلا جماعات من السُنَّة تقاتل لأنها فقدت امتيازها بالحكم، أو جماعات ضباط فقدوا وظائفهم، إلا أنه وطيلة الفترة التي نشطت بها الكتائب منذ الأيام الأولى لتأسيسها وحتى توقف

نشاطاتها، لم يبدُ على سلوكيات قياداتها ولا عملياتهم ما يشير إلى أي توجه طائفي، بالمقابل وبسبب ارتباطها بالهيئة اتُهم الشيخ حارث بالإرهاب.

فاجأت المقاومة العراقية قوات الاحتلال والعالم بسرعة انطلاقها، كمقاومة مُدن، فعادة ما تبدأ المقاومات في الأطراف وتدريجيًا مع مرور الوقت وما تحققه من انتصارات تتوسع لتشمل المدن، الأمر الذي لم يكن موضوعًا بالحسابات الأمريكية، بعد ما كانت تتوقعه من استقبال شعب العراق لقواتهم بالورود والأحضان.

تبقى عمليات هذه التنظيمات محدودة بمعدل ٣٠-٥٠ عملية، تتصاعد إلى ١٨٠ عملية باليوم الواحد، دون أن تتحول إلى حرب تحرير شعبية، تلك التي برزت بوادرها مع ما عُرف بانتفاضة الصدريين التي بدأت في نهاية شهر آذار ٢٠٠٤ في مدينة الصدر ببغداد بعد إغلاق جريدة الحوزة الناطقة (اسم التيار)، ثم في مدينة الصدر والنجف بعد إصدار بريمر أمر بإلقاء القبض على مقتدى الصدر، تزامنت هذه الانتفاضة مع الهجوم الأمريكي على الفلوجة في أوائل نيسان/ إبريل ٢٠٠٤ على أثر كمين نصبه بعض الشباب من أهالي الفلوجة برأس الجسر المُوصِل إلى بغداد، قتلوا ٤ من منتسبي شركة بلاك ووتر، و٥ من الجنود الأمريكيين.

كان حجم المعارك وأعداد المشاركين بها يبشر بانتشار المقاومة إلى بقية المدن وتحولها لحرب تحرير شعبية.. تحقق مستوى عالي من التعاون بين المدينتين النجف والفلوجة، حيث أرسل ثوار الفلوجة مجموعة من ضباط الجيش العراقي الوطني المنحل إلى النجف لتدريب مقاتلي الصدر على استخدام الأسلحة وقواعد الاشتباك بالمدن وحرب الشوارع، الأمر الذي أرعب إدارة بوش والحاكم المدني بريمر وقواته، التي صادفت في كلا المدينتين مقاومة شرسة، أجبرتهما على إيقاف العمليات العسكرية ضد الفلوجة دون الاستطاعة من إلقاء القبض على منفذي كمين الجسر، إن غالبية هؤلاء الضباط الذين تطوعوا

للالتحاق بجماعات الصدر من منتسبي كتائب ثورة العشرين، الأمر الذي صعد من غضب الأمريكان ومجموعات الطائفيين الشيعة من الشيخ حارث الضاري لتتصاعد أيضًا اتهاماتهم له بالإرهاب.

في النجف، أثارت عمليات السيد مقتدى مخاوف السستاني الذي بدأت المعارك تقترب من منزله، فهرب إلى لندن بحجة العلاج، إلا أنه وفي عز المعارك، بدأ يطالب مقتدى من لندن بتسليمه مفاتيح الحضرة العلوية، ليحول المعركة عن أهدافها الحقيقية من معركة ضد الاحتلال تطالب بإنهاء سلطة الحاكم المدني وتسليم الحكم لممثلي الشعب العراقي، إلى معركة من يمتلك الحق في ملكية مفاتيح الحضرة العلوية، مُسفهًا بذلك المقاومة، بلعبة لا شك تمت بالتنسيق مع بريمر، الذي اعتبر أن موافقة مقتدى على تسليم المفاتيح خطوة نحو إيقاف العمليات العسكرية في النجف وانسحاب قوات الاحتلال دون أن تنفذ الغرض الرئيسي الذي جاءت من أجله، وهو اعتقال السيد مقتدى.

هناك ظاهرة مهمة ذات دلالة طائفية مخططة ومقصودة، وهي إصابة بعض إطلاقات القوات الأمريكية قبة الإمام واحد منائر الحضرة إصابات ظاهرة، كما أدى القصف بالدبابات إلى تهديم السور الجنوبي للحضرة، إلا أن عمليات ترميم سريعة تمَّ إجرائها دون ذكر لهذا الحدث، الذي عرضته شاشات التلفزيون خلال تغطيتها لمعارك النجف، الحدث الذي لو قارناه بما جرى من ضجة واسعة لحدث مماثل، عندما أصابت بعض إطلاقات قوات حسين كامل إحدى منائر مرقد العباس، تمَّ تصويرها بالفيديو ونشرت حولها أفلام وقصص، وكَتب الشعراء القصائد والمقالات التي لم تنقطع لسنوات طويلة حتى حصول الاحتلال... المفروض أن العباس ليس إمام بل ولي، يكتسب كل قدسيته من كونه أحد أولاد الإمام علي من زوجته أم البنين، إضافة لأدواره الشجاعة في معركة كربلاء، وعلي هو الإمام، أبو الأئمة، منه يكتسب الأئمة من أولاده وأحفاده قدسيتهم، أي أن العدوان على قبره يفترض أن يكون أشد إيلامًا من

الاعتداء على قبر ابنه العباس، إلا أن زعماء الطائفية يتصرفون على طريقة المثل العراقي (يريدونها كبار تصير كبار – يريدونها صغار تصير صغار) وفقًا لأهوائهم ومصالحهم.

## حصار المقاومة بالطائفية:

للأسف تمكن بريمر بالتعاون مع السستاني وبقية زعماء الطائفية من تحويل مقتدى وتياره إلى معارضة سلمية وديعة، تقاوم بالكلام والشعارات الفارغة، بعد أن زرع الرعب في قلب وعقل إدارة بوش، التي اعتمدت استراتيجية جديدة في عزل المقاومة العراقية عن بقية الشعب العراقي، وحصرها في المدن ذات الأغلبية السُنّية، من خلال إضفاء تهمة الطائفية عليها، فبعد أن كانت وسائل الإعلام تروج لتوصيف المقاومة على أنها مقاومة بعثيين، أو ضباط ومجموعات ممن خسروا امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها في عهد النظام السابق؛ ابتدعوا مقولات ومفاهيم جديدة مثل المثلث السُّني والمقاومة السُنّية، وقاموا بتصنيع عمليات ذبح جماعي وتفجيرات في مدن الشيعة ونسبتها لأبو مصعب الزرقاوي.

في تفجير تمَّ في عاشوراء بأحد شوارع كربلاء عام ٢٠٠٥، كان مراسل محطة الجزيرة ينقل مشاهد عن عملية نقل جثث الضحايا من مكان الحادث، ويسأل المتواجدين عن التفاصيل، الذين أجمعوا في وصفهم بأن الحادث كان نتيجة صاروخ جاء من بساتين كربلاء الشمالية وليس مفخخة، ثم ظهر فجأة موفق الربيعي والشريط التلفزيوني وراءه ما زال يصور، بنقل حي عملية إخلاء جثث الضحايا، قال الربيعي مستنكرًا: "هذا العمل الخسيس من تنفيذ أبو مصعب الزرقاوي"، تغيرت لهجة المذيع بعد هذا التصريح لتكرر الجزيرة أن الحادث كان نتيجة مفخخات زرعها الزرقاوي[1].

---

١- د. موسى الحسيني، مصدر سابق، ص:٨٦.

من جهتها بدأت جماعة عزيز الحكيم ترسل دوريات طيارة على طريق بغداد كربلاء، مقابل أو قريب من المدن الصغيرة المعروفة بسكانها من أبناء الطائفة السُنّية، بما يوحي وكأن هذه الدوريات جاءت من هذه المدن، يحمل أفرادها صورة الإمام، لتقطع الطريق على السيارات الذاهبة لكربلاء وتطلب من الركاب البصق على الصورة، وقتل من يمتنع عن البصاق، ليخرج عزيز الحكيم نفسه في اليوم التالي مستنكرًا هذه العمليات الطائفية التي نسبها للمقاومة السُنّية، لم تتوقف هذه العمليات إلا بعد أن كتبتُ عنها مقالاً نشرته مجموعة من المواقع، كما نشرته مجلة المستقبل العربي اللبنانية العدد٣١١ لشهر كانون ثاني ٢٠٠٥، تحت عنوان "تبت أياديهم إنهم يقتلون الشيعة على الهوية"، فاضحًا فيه من يقف ورائها، كما كشفت فيه من هو المستفيد الحقيقي من هكذا عمليات، تظل المقاومة بكل أطرافها براء منها، فانقطعت أو توقفت هذه الدوريات (المقال منشور ضمن فصول الجزء الثاني من هذا الكتاب).

في أواخر عام ٢٠٠٥، دخلت الأموال السعودية والقطرية على المقاومة، فبدأت تظهر فصائل جديدة بأسماء طائفية تقاوم على الإنترنت، استمرت حتى الآن تقاتل أشباح من العملاء، تعلن عن عمليات قتل شرطي حكومي صفوي، كما تسميه هنا، وتدمير سيارة للصفويين (حكومية) هناك، لم نسمع بالمقابل عن إعلان أو ردات فعل أو استنكار من الطرف الآخر، ما يؤكد صحة هذه العمليات الشبحية.

في حين ينعم قادة الطائفية بما ينهبونه من أموال الشيعة في قصورهم ببغداد، ويتمتعون بكل النعم التي أنعم عليهم بها الاحتلال دون خوف، أو حتى سماع أي خبر عن تعرض أحدهم لأي عمل مسلح فاشل أو ناجح، استثناء مقتل الدكتور علي العضاض، عضو قيادة المجلس الأعلى (مجلس آل الحكيم)، في شهر تشرين ثاني / نوفمبر ٢٠٠٦. ولدي معلومات خاصة ودقيقة عن كون العملية كانت من تخطيط وتنفيذ عزيز الحكيم نفسه لخلافات بينهما تصاعدت

على أثر اختطاف شخص يهم الأمريكان وحلفاؤهم من قبل جماعة عزيز، قام الدكتور العضاض بتسريب الخبر، والمطالبة بتحرير المخطوف، سأكشف تفاصيلها بالوقت المناسب.

نعود للسؤال الغريب عن مقاومة عزة الدوري وضجيجها الإعلامي المتواصل عن نفسها، والدعايات التي لم تتوقف يومًا عن وجودها دون أن نسمع عن عملية مقاومة واحدة تستطيع القول إنها نفذتها ضد الاحتلال، ثم أين كانت هذه المقاومة التي لم نسمع لا منها ولا من غيرها عن عملية أو محاولة ولو واحدة لإنقاذ رئيسها صدام حسين، الذي ظل يُقاد من قبل الاحتلال قرابة عامين بين السجن والمحكمة؟.

بعد انسحاب القوات الأمريكية في نهاية عام ٢٠١١، عاد عزة الدوري من غيبته الكبرى، ليعلن نفسه قائدًا عام للمقاومة العراقية الوهمية، التي لم يجد بينها فصيلاً واحدًا يمكن أن ينتمي لحزب البعث، فتبنى تنظيم الطريقة النقشبندية، وهي مجموعة من المجموعات الصوفية التي يفترض أنها بعيدة عن أن تكون جزء من حزب علماني، أسسه مفكر عربي مسيحي! كل شيء جائز في عصر العولمة والإسلام الأمريكي.

إن متابعة خطابات عزة المتكلم باسم المقاومة وتحليلها، توحي وكأنه جاء ليكمل مشروع بريمر في عزل المقاومة عن إطارها العراقي العام، ويكمل المشوار الذي بدأه في عام ١٩٧٧، بإثارته للحساسيات الطائفية، فهو لا يتطرق ولا يذكر شيء عن الاحتلال الأميريكي الذي ما زال قائمًا فعليًا من خلال سفارته التي يقال إنها تستوعب أكثر من ٥ آلاف شخص، ليخلط خلطًا عجيبًا بين مفهومي الاحتلال والنفوذ، فيطالب الأمريكان على إعانته للتخلص من الاحتلال الإيراني الصفوي.

إن استخدام صفة الصفوي هنا تدل أنه يريد تحويل الصراع العربي – الفارسي الذي يتمحور حول احتلال إيران للأراضي العربية في الأحواز، جزيرتي

عربيي وقرزان السعوديتين، الجُزر العربية الثلاث، إلى صراع طائفي لا قومي، بين أمتين متجاورتين، إن المقصود باستخدام صفة الصفوي تعني بالضبط إيران الشيعية مقابل السُنَّة العرب، عندما يكون جوهر الصراع طائفيًا بهذا الشكل الذي يسعى له عزة وحزبه، لا يدري الإنسان أين يضع عزة رائد القومية العربية وبطل الوحدة العربية ما يقارب من حوالي ٤٠ مليون شيعي عربي، يلقيهم في البحر أو يرحلهم لإيران، أو يقتطع جنوب العراق مع المنطقة الشرقية السعودية، ليعزلها بدولة شيعستان، ويفصل شمال سوريا في دولة وجنوب لبنان في إمارات شيعية، ويقسم اليمن إلى إمارة شيعستان الجنوبية وأخرى سنية، تمامًا كما طرح شارون وإيتان في مخططهم فيما عُرف بـــ"استراتيجية إسرائيل لثمانينات وتسعينات القرن العشرين".

الشعار طائفي بحت، لا يتردد الطائفيين الشيعة من التذكير باستخدامه من قبل الطائفيين السنة، لتخويف شيعة العراق من هؤلاء الذين يهددونهم ويشككون بهويتهم العربية، وينزعون عنهم أصالتهم العربية بنسبتهم إلى إيران.

كما لم تكن دماء ١٧٠٠ من الجنود الشيعة الأبرياء الذين تخلوا عن أسلحتهم وانسحبوا من الموصل بعد دخول داعش، ليتم ذبحهم جميعًا في مجزرة معسكر سبايكر، تستحق لأن يقدم قائد المقاومة العراقية تعازيه لأهاليهم مثلاً، أو إعلان أي استنكار للعملية التي بكل المفاهيم كانت مجزرة طائفية، وهو من يقدمه أو أعوانه على أنه رئيس جمهورية العراق، يبدو أن رئيس العراق بالحلم لا يعرف أن أكثر من نصف الشعب العراقي هم من الشيعة، والطائفية انطلقت من عقالها ما عاد يخيفها ولا يصدها إرهاب، بالعكس نراه يقدم تحياته بدون مناسبة للدولة الإسلامية في بلاد الشام والعراق (داعش)، التحية التي تُفهم على أنها مباركة تهنئة لداعش على تنفيذ تلك العملية المجزرة.

نهج شعوبي واحد مستمر يعكس نزعات شعوبية تعصبية ضد العرب والعروبة من خلال نزع الهوية العربية عن ما يقارب نصف الشعب العراقي، بدأ للظهور علنًا عند عزة في ١٩٧٧ وما زال مستمرًا حتى الآن.

**إن تفسير هذا النزوع يخضع لعدة احتمالات:**

**الأول:** إن الرجل بسماته وطلعته الخارجية يؤشر إلى حقيقة كونه من سقط المتاع من بقايا الغزاة الذين مروا بالعراق، وإن حاول أن يدَّعى الانتساب والموالاة لبعض عشائر الدور العربية، ما هو ثابت تاريخيًا أن بعض الموالي كانوا من الرواد الأوائل للشعوبية، وتوجهات الكره للعرب، وقديمًا قالت العرب "إن العرق دساس".. لعل هذا الاحتمال هو الأقوى لتفسير حقد عزة الدوري على العرب في العراق وسوريا واليمن بحجة التمسك بمواجهة إيران.

**الثاني:** أن الرجل معد مسبقًا كما هي حالة غورباشوف، ليلعب هذا الدور، فلعبة تقسيم العراق لا تتحقق بدون هذا الثلاثي؛ عزة ومسعود البرزاني والسستاني وآل الحكيم. كله نضال من أجل الوحدة العربية، تقسيم العراق وسوريا واليمن؟!.

**الثالث:** رجل متخلف، كل تجربته بالحياة تتلخص بصانع أو صبي في محل لبيع الثلج، قضى أكثر من ١٥ سنة محبوسًا بذلك المحل الصغير لا يفارقه، خوفًا من أن يقع بيد الانضباط العسكري (الشرطة العسكرية)، أتذكره إلى حد صيف ١٩٦٤- ١٩٦٥، عندما كنت أعود للفندق الذي أعيش به لأراه جالسًا على ذلك الصندوق الخشبي الفارغ، سكران يردد قول الشاعر:

إذا سكرت فأنا رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فأنا رب الثلج والمنشاري

عندما أعود برقة صديقي محمد أمين محسن عتوك الذي يسكن بنفس الفندق، ومحمد أمين يميل للمزح والسخرية منه، يسلم عليه:

– شلونك عمي عزوز، يبين مصعدها اليوم..

يجيب:

– أي والله عمو، اقرو زين لا تصيرون مثل عمكم عزوز.

ويعيد قراءة بيت الشعر، يظل معلقًا على كرسيه بانتظار أن تفرغ القهوة المحاذية للمحل من زبائنها ليقوم للنوم على إحدى مقاعدها الطويلة.

من أين لعزوز أبو الثلج أن يفهم أبعاد السياسة الدولية والفرق بين الاحتلال والنفوذ، والصراع العربي – الفارسي، والصراع السُّني – الصفوي، الفرس أمة أو قومية محاددة أو مجاورة للأمة العربية، تشكلت بحكم التجاور هذا مجموعة من المشكلات والخلافات التاريخية، الصفوية مدرسة من مدارس الاجتهادات الشيعية، قد تكون مخطئة في غلوها بحب آل البيت، لكن خطئها هذا لا ينفي عنها إسلاميتها، بما يعنيه الإسلام من الإقرار بالشهادتين، وهم في اجتهاداتهم هذه مأجورين بحسنة واحدة إن أخطأوا.

كما يرى أو يجتهد في ذلك ابن تيمية الذي يرى بخروج معاوية على الخلافة الراشدية اجتهادًا خاطئ، وكذلك خدعة عمر بن العاص للصحابي أبو موسى الأشعري، على أنه اجتهاد خطأ أيضًا يؤجر عليه عمر بن العاص بحسنة واحدة فقط، ما يصح على معاوية وعمر بن العاص يصح على بقية المسلمين، والفرس أو الإيرانيين لا يخجلهم أنهم صفويون، كما لا يخجل عزة من أن يلبس البدلة العسكرية برتبة مهيب ركن وهو الجندي الفار من أداء الخدمة، أو أن يدعي قيادة المقاومة وهو من فر من أرض المعركة ليحتمي عند مسعود أولاً ثم السعودية، ليخرج علينا عام ٢٠١٢ بدعوى أنه قائد مقاومة الإنترنت الوهمية، واضعًا إشارة الركن الحمراء على أكتافه وهو الجندي الفار؛ فإذا كان يعتقد أن الصفويين مشكوك بإسلامهم، فكل ما فيه يؤكد زيفه وكذبه ونصبه

واحتياله على الحزب والمقاومة، البدلة العسكرية والرتبة والشارة الحمراء وإدعاء قيادة المقاومة، أليس من العار أن يذم الآخرين وكل ما فيه مذمة وزيف، عزة ليس ابن الله، يحق لغيره ما يحق له!

**الرابع:** أن الرجل كما قلنا كل تحصيله الدراسي أنه راسب في الصف الرابع الابتدائي، وكل تجربته العملية في الحياة أنه كان صبي في محل لبيع الثلج، أي أنه غير موفق وفاشل، دراسيًا ومهنيًا، سواء بسبب ظروف اجتماعية قاهرة خاصة، أو بسبب تدني القدرات والخبرات العقلية، عاش لسنوات طويلة تحت ضغط الشعور بالدونية والنقص، تركيبة سيكولوجية كهذه عادة ما تكون السبب للحقد على المجتمع من حول صاحبها، ورؤية الدماء الجارية والتخريب الحاصل في العراق وسوريا واليمن، ترضي هذا النوع من المرضى وتطمئن أحقادهم على المجتمع من حولهم.

قد تكون هذه الاحتمالات تفاعلت مع بعضها لنرى هذه الشخصية الخبيثة الحاقدة على الأمة العربية تقف بعلم ومعرفة، أو بغباء وهبالة في صف المؤامرات الداعية لتقسيم العراق، وبقية البلدان العربية كما هي سوريا واليمن، وهذا حتى بمقاييس البعث عندما كان في السلطة يمثل حد الخيانة العظمى، التي بمجرد الشبهة بها كان البعث ينفذ فيه حكم الإعدام، وما ينطبق على عامة أبناء الشعب ومواطنية، على الحزب أن يكون عادلاً ومنصفًا في تطبيق نفس القوانين على هذا الخائن للأمة العربية.

لو كان المتخلف عزة يمتلك ولو قليلاً من الذكاء، أو سلامة النيات، لكان تعلم ممن صنع منه رجلاً؛ رئيسه صدام، شيء من الحكمة في التعامل مع موضوع الطائفية، أعلن صدام الحرب على إيران وغالبية الجنود ومعظم المراتب ومئات الضباط في الجيش العراقي كانوا من الشيعة، أي تربطهم بإيران روابط مذهبية، كسرها وعطلها صدام بالتركيز على الأطروحات القومية، والأبعاد التاريخية للصراع العربي – الفارسي، بعيدًا عن أي شعار استفزازي يمكن أن

يمس المعتقدات المذهبية، صَنع له شجرة نسب تُرجع نسبه للإمام علي، سافر بعدها للنجف ليقول "سأحاربهم بسيف جدي علي"، زار مدن الجنوب وتقرب من الشيعة، مستنهضًا في الشيعة مشاعرهم العروبية، رغم أن الشارع العراقي في السماوة والديوانية والنجف والناصرية يغلي بالصراع بين أجهزة الأمن ومنتسبي حزب الدعوة، الذين رفضوا التسليم لقوى الأمن بعد صدور القرار بإعدام كل أعضاء حزب الدعوة بأثر رجعي، فكان القتال يوميًا يجري بمشهد من الناس، لكن صدام حقق انتصاره على الجبهتين بتركيزه على المشاعر القومية تجاه عدو قومي.

إن مقاومة عزة لم تخرج عن الإطار العام الذي رسمه لها بريمر، متخصصة بقتل الشيعة العرب، لا دخل لها بالاحتلال وما ترتب عليه من نتائج، كان توسع النفوذ الإيراني أحدها، لم نسمع يومًا في خطابات عزة ولا في خطابات المواقع التابعة له وجهة نظر وطنية حول الدستور الذي فرضه بريمر على العراق، ولا عن حجم التخريب الذي خلفه الاحتلال في البنى التحتية، عملية التخريب التي أصابت الوضع التربوي أو الصحي، مؤامرة التقسيم التي يسير نحوها الجميع بما فيهم مقاومة عزة وحزبه.. الموقف من قضية العرب المركزية في فلسطين، الأطماع التركية في الموصل، لا شيء إلا الصفويين، وقال قاسم سليماني، وسافر قاسم سليماني وشُوهد قاسم سليماني.. سندباد على الحصان الطائر، مرة في سوريا وثانية في العراق وثالثة في اليمن أو لبنان.

يبدو أيضًا أن عزة لا يعرف أن هناك من دعموا الاحتلال ويشاركون في تنفيذ مخططاته وسرقة أموال العراق من السنة، هؤلاء براء من الخيانة ولم يتجرأ أحد من كتاب حزب البعث السعودي المعولم على انتقاد أي منهم، يبدو أن معايير عزة الوطنية، لا تستوي إلا بتقسيم عرب العراق وزرع الفرقة بينهم، من أجل تحقيق الوحدة العربية أولى شعارات حزب عزة.

إن الإنسان ليشعر بالأسى والحزن لبعض المرتزقة من أعضاء حزب عزة ممن هم من خلفيات شيعية، يتنطعون كالقرود من محطة فضائية ثانوية إلى أخرى ليصبوا الزيت على النار، بتوجه واضح أنهم يريدون أن يبرئوا أنفسهم من خلفياتهم الطائفية، لم يقدموا فكرًا، ولا تحليلاً ولا رأيًا ذو محتوى قومي أو سياسي، غير شتائم انفعالية، أو يتظاهرون بالانفعال بها، التي يكيلونها لشيعة العراق، إنهم الأخطر في عملية التحريض الطائفي، لأنهم الأكثر اندفاعًا في استفزازاتهم لأبناء العروبة من العرب الأصائل من شيعة العراق.

إن المشروعات المطروحة لتقسيم العراق لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود قطبين متنافرين، يمكن فهم واستيعاب ذلك جيدًا عندما يكون كلا القطبين يستند لأطروحات دينية – مذهبية، لكن ما لا يمكن استيعابه أن يصطف مع واحد من الجانبين حزب يفترض فيه أنه قومي علماني، يندفع بقوة للمنافسة على احتلال الصف الأول في هذا التجاذب الطائفي.

**الطائفية والقومية :**

الطائفية بأبسط معانيها تعني الولاء المتعصب لأبناء مذهب واحد... أما الالتزام القومي يعني الولاء لأمة كاملة بكل ما تتضمنه هذه الأمة من طوائف وإثنيات وطبقات، لا لجزء منها.

يشكِّل الشيعة العرب لا أقل من ٣٠ مليون وحتى ٥٠ مليون من هذه الأمة، موزعين على العراق وبلدان الخليجي، الأحواز، السعودية، سوريا ولبنان... عزلهم أو تهديدهم بالإفناء والقتل على طريقة الشعار الذي وضعه عدنان عرعور في سوريا (العلوية للتابوت والمسيحية لبيروت)، لا شك سيضعهم بموقف المستعد للدفاع عن النفس لأخر حد، عندما يكون الخيار بين الفناء أو التقسيم والعزل بأوطان طائفية من دون أن يكون هناك سبب فقط غير خلفياتهم المذهبية يغدو القبول بأي مشروع تقسيمي سهل، ما يفرض على أي توجه

قومي الانتباه إلى معطيات الأمر الواقع واتخاذ الخطوات الكفيلة بطمئنة هذه الجماعات أو مكونات الأمة ببرنامج وخطاب توحيدي، يبعدها عن أن تتحول إلى أداة بيد أعدائها وأعداء الأمة العربية.

الأمة تتمزق، مهددة بالفناء، العربي فيها يقتل بأيادٍ وأموالٍ عربية، التقسيم النفسي على الأقل بدأ يأخذ أقصى مداه في كل من العراق، سوريا، اليمن، وليبيا ولو بمظاهر أخرى غير طائفية، ما يفترض بحزب قومي يرفع شعار الوحدة أن يترفع عن المشاركة بلعبة التقسيم هذه، ويضع البرامج أو الخطط الكفيلة بمواجهة هذا الانقسام والتشظي، لا أن يكون جزء من المشاركين به!.

في شهر نيسان ٢٠١٤، تسلمت دعوة من قيادة حزب البعث لحضور مؤتمر في تركيا قيل لي إن الغاية منه تشكيل قيادة سياسية للمقاومة العراقية، اكتشفت في الجلسة الأولى أن إدارة الجلسات والإشراف عليها خُول لناصر الجنابي واثنين آخرين من شيوخ الطائفية، لم يكن هناك برنامج محدد، ولا منهجية توضح ما المطلوب فعلاً من اللقاء، افتتح الشيوخ بالتناوب الحديث المكرر والمستهلك عن الاحتلال الصفوي للعراق، ترك الشيوخ بعدها الحرية لمن يرغب الحديث من المشاركين، أما عملية اتخاذ القرارات القطعية والمعدة مسبقًا فهي حق للشيوخ الثلاثة فقط..

طلبت السماح لي بمداخلة قصيرة، وضحت فيها كيف أن التركيز على مصطلح صفوي لن يخدم المقاومة بما له من انعكاسات على نفسية الشيعة، العرب كاتهام ينزع عنهم هويتهم العربية، ما يمكن أن يستفيد منه الطائفيين من الموالين لإيران لإثارة الحساسيات الطائفية، ويعزل المقاومة عن عرب الجنوب ، إن مقاومة لا يشارك بها عرب الجنوب محكوم عليها بالفشل مسبقًا، كما شرحت الفرق بين النفوذ والاحتلال واقترحت استخدام مصطلح الصراع العربي- الفارسي كما هو مصطلح الصراع العربي – الصهيوني، بدلاً عن الترويج لفكرة الصدام بين السُنَّة العرب والشيعة الفرس، أيدني الدكتور ضرغام

عبد الله في مداخلته عن كونه توصل من خلال تجربته وتفاعله مع الكثير من الشخصيات الشيعية إلى نفور الشيعة العرب بما فيهم منتسبي حزب الدعوة من إيران ومحاولاتها التغلغل والسيطرة على شيعة العراق، اختفت بعد ذلك حدة الحديث عن الاحتلال الصفوي، لتظهر بالبيان الختامي لما يسمى ب: "المجلس السياسي لدعم المقاومة العراقية" مكررًا ثلاث مرات.

من حينها تأكد لي بالجزم أن مقاومة مواقع الإنترنت هذه على ما يبدو لا همَّ لها ولا هدف غير تنفيذ المخططات الأمريكية والصهيونية في تقسيم العراق وتجزئته إلى ثلاث دول، كما اقترح ذلك "مشروع إسرائيل لثمانينات وتسعينات القرن العشرين[1]"، وكما جاءت أمريكا لتنفيذه على الأرض، مع سبق الإصرار والتعمد، هي لا تريد فعلاً التخلص من الاحتلال الأمريكي وآثاره، والنفوذ الإيراني هو أحد تلك الآثار، بل هي تريد تقسيم الشعب العراقي والعراق، طلبًا لمرضاة الله على ما يبدو، والسعودية والغرب والصهيونية من بعده؟!.

## صدام حسين، وحُكام نُخب الجهل والدونية والنقص:

إن مراجعة تجربة مسيرة البعث بعد المؤامرة التي نفذها صدام حسين ضد الوحدة والحزب وقيادته من ذوي الاتجاه الوحدوي، وإعدامه لقياداته المبدئية في تموز ١٩٧٩، تثير بنتائجها العجب في قيادته الجديدة التي صَنعها من عصابة غريبة من سقط المتاع من المتخلفين والأميين والجنود الفارين من الخدمة العسكرية، ممن هم وفقًا حتى لقوانين صدام حسين نفسها مطلوبين للقضاء، فكل من صدام نفسه وإخوته الذين سلمهم أعلى المراكز، برزان،

---

١- للإطلاع على نص المشروع يمكن العودة للرابط التالي:
http://www.ikhwanpress.com/Abhat%20wa%20Dirasates/Watika%20Zionist.pdf
نص المشروع كما علقت عليه صفحة قناة الجزيرة على الإنترنت:
http://www.aljazeera.net/news/presstour/2016/2/19/

وطلبان إضافة لعزة الدوري كانوا من المتخلفين عن أداء الخدمة العسكرية، يتميز صدام بينهم في أنه الوحيد الذي يحمل شهادة الدراسة الثانوية العامة، أما البقية فأفضلهم لا يحمل أكثر من الشهادة الابتدائية، ونائبه عزة كان طالبًا لم يتجاوز في تعليمه الصف الرابع الابتدائي.

أيضًا كان ممن تبوأ أعلى المناصب في الدولة والجيش هما حسين كامل، وعلي حسن المجيد كانا جنود عاديين في الجيش العراقي[1]، ويعرف الخبراء في قوانين الخدمة العسكرية العراقية، لو كان أي منهم حاصلاً على الشهادة المتوسطة (الصف التاسع) كان يمكن أن يرتقي لرتبة رئيس عرفاء سرية أو وحدة، أو نائب ضابط كاتب.

منح صدام ثلاثة منهم: عزة الدوري، حسين كامل، علي حسن المجيد، إضافة لابنه قصي، أعلى الرتب العسكرية (فريق ركن، رفع عزة نفسه إلى مهيب بعد أن أصبح بالوهم رئيس جمهورية العراق، والأمين العام للحزب)، احتل كل من عزة الدوري ووطبان وزارة الداخلية، وعلي حسن المجيد قيادة قطعات الشمال ووزير دفاع، وحسين كامل رئيس هيئة التصنيع العسكري، واختص برزان بالإشراف على الأجهزة الأمنية، هؤلاء كانوا الإسفين الذي دقه صدام بظهره، فلا شك أنه كان يمتلك شيء من خصائص الكاريزما التي تجعله مقبولاً من قبل الكثير من أبناء الشعب من غير المسيسين، إلا أن سلوكيات بطانته من سقط المتاع هذه، التي تُظهر تركيبة نفسية مشحونة بالشعور بالدونية والنقص والضعة، وتعاملهم الما فوقي المتكبر على الشعب، ما جعله وكل ما يمت للحزب بموقع المكروه.

إن إصرار عزة على ارتداء اللباس العسكري، وهو بالقانون مدرج تحت قوائم الجنود الفارين من الخدمة العسكرية، ليدعي بلباسه أو يتظاهر بأنه أصبح قائدًا

---

١- غسان شربل، صدام مر من هنا، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠١٠، ص::١٩٥.

للمقاومة، يعني أنه يجب أن يخضع لقوانين الخدمة العسكرية التي كانت سائدة في زمن البعث، والتي تنص بحكم الإعدام لأي ضابط يفر من ساحات الحرب، وعزة بفراره بعد دخول القوات الأمريكية للعراق وحتى قبل أن تتوقف المعارك، ارتكب جريمة الفرار من ساحة المعركة، ولو كان هناك فعلاً حزب للبعث ما زال يتمسك بقيم البعث وقوانين صدام؛ عليه أن يقدم عزة لمحكمة عسكرية ميدانية لمحاسبته على جريمة الفرار.

جريمة أخرى تندرج تحت باب الخيانة العظمى كونه سلم باتفاق غادر أسلحة ومعدات ومعسكرات القوات التي كانت بإمرته للعدو، فقوات مسعود البرزاني كانت تقاتل كحليف للقوات الغازية، وهذا يندرج أيضًا تحت إطار الخيانة العظمى وفقًا لقانون الخدمة العسكرية، أين هي الجماعات التي تزعم بأنها تمثل المقاومة العراقية، وهي تمثل بإيوائها لهذا الخائن الجبان وكر لحماية الخونة، بل أن تقيم محاكمها الميدانية، ووفقًا للقوانين التي كانت سائدة في زمن البعث.

لعل تقديم عزة الشكر للمملكة العربية السعودية لما قدمته من خدمات جليلة للشعب العراقي، كما قال في أول خطاب ظهر به بعد عودته من السعودية عند انسحاب القوات الأمريكية، كأنه يشكر لا شعوريًا المملكة على عملها ومساعدتها الأمريكان للتخلص من صدام حسين، ليموضع بائع الثلج الجندي الفار وحامل شهادة الصف الرابع الابتدائي نفسه، بديلاً، جزاء سنمار لمن صنع منه رجلاً وأنقذه من واقع الدونية والصغر الذي كان يعيشه.

أولئك هم جماعة اتخاذ القرار في ربع القرن من استفراد صدام بالحزب بعد إعدام قيادته وتنحية البكر... عليهم اعتمد في قراره بغزو الكويت، دون معرفة وزير الدفاع في حينها الفريق عبد الجبار شنشل، ولا رئيس أركان الجيش الفريق نزار الخزرجي[1]، كذلك كان حال وزير الخارجية عضو قيادة الحزب

---

١ – نفس المصدر، ص:٢٠٧ –٢٠٨.

طارق عزيز الذي لم يعرف بالأمر إلى أن سمع عنه في الأخبار في التليفزيون كما هم سائر الناس[1].

بهؤلاء الأميين قاد مجازره وقمعه غير المنضبط ضد الأكراد والشيعة والسُنَّة حتى؛ فهيأ الإنسان العراقي للقبول بأي حل من أي طرف، كما قمع مثقفي الحزب ومنعهم من استعمال ملكة التفكير أو المساهمة بصنع القرار، ليرددوا وإلى اليوم كالببغاوات شعارات التفتيت والتقسيم الطائفي على أنه نضال من أجل وحدة الأمة العربية، اختزل صدام حسين عقول ملايين العراقيين بعقله هو فقط، فكان أزمة حقيقية أصابت العقل العراقي بما فيه عقول مثقفي ومتعلمي الحزب نفسه، إن اجتماعاته بوزراءه التي كانت تعرض بالتلفزيون الحكومي، تظهرهم كمجموعة من الكتبة مستمعين فقط، كل بقلم وورقة يتظاهر بتسجيل ملاحظاته دون أن يحق له الحديث أو إبداء رأي أو ملاحظة.

## الاحتلال الأمريكي وما ترتب عليه من نفوذ إيراني:

لذلك أيضًا لا يستغرب الإنسان من أن حامل الألقاب الكبيرة، رئيس جمهورية العراق بالوهم حاليًا، الأمين العام لحزب البعث، القائد العام للقوات المسلحة العراقية، قائد المقاومة الوطنية القومية الإسلامية، الضليع بسياسة بيع الثلج والهروب من الخدمة العسكرية؛ لا يدرك الفرق بين مصطلح الصراع العربي- الفارسي، والعراقي – الصفوي، ولا معنى الاحتلال والنفوذ.

**الاحتلال:** يعني سيطرة أو غلبة دولة على أخرى بحيث تصبح الدولة المُحتلة هي المُهيمنة كليًا على عملية اتخاذ القرار في الدولة الواقعة تحت الاحتلال.

---

١ – حميدة نعنع، طارق عزيز: رجل وقضية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ص: ١٧٩.

**النفوذ:** يعني قدرة دولة ما في التأثير في قرار دولة أخرى من خلال تأثيرها أو علاقتها ببعض من المشاركين في عملية اتخاذ القرار في الدولة الواقعة تحت النفوذ أو الهيمنة.

أمريكا من خلال سفارتها ما زالت تمثل دولة محتلة مهيمنة كليًا على عملية اتخاذ القرار، يستلم رئيس الوزراء العراقي تعليماته من السفارة الأمريكية لا من إيران، السفارة الأمريكية في بغداد هي من يحدد حتى هامش الحرية في اتخاذ القرارات الجزئية والتنفيذية، دون حساب لما تريده إيران إلا ما كان لا يتناقض مع التوجهات الأمريكية أو يصب في صالح الأهداف الأمريكية.

أمريكا لم تُسلم العراق لإيران لغفلة أو عفوية منها، كما أن إيران لم تدخل بقوتها وإرادتها للعراق بل استجابة لدعوة أو تشجيع أمريكي.

سمحت أمريكا لإيران بالتدخل بالشأن العراقي كمرحلة جديدة أو خطوة متقدمة لتنفيذ مشروعها التقسيمي، فالتواجد الإيراني، سيثير غضب سنة العراق، ويشكل نوع من الطمأنة للشيعة، ليس عبثًا ولا غفلة من بريمر أن يغلق في فترة حكمه كل الحدود مع الدول العربية، كما سلم مسؤولية مراقبة الحدود مع تركيا للأكراد وترك الحدود الإيرانية مفتوحة بدون أي رقابة.

يعرف المواطن العادي من سكان بغداد أماكن وبيوتات تواجد المخابرات الإيرانية، الإسرائيلية، التركية وكل المخابرات العالمية المعنية بالشأن العراقي، أين منها مقاومة عزة الوطنية – القومية – النقشبندية.

إن أمريكا لم تأتِ للعراق بقرار اعتباطي أو مستعجل بدون دراسة، يقول بيتر غالبريت مؤلف كتاب "نهاية العراق": "كانت وزارة الخارجية قد أمضت عامًا كاملاً قبل الحرب، وأنفقت ملايين الدولارات في العمل مع المنفيين العراقيين لإعداد خطة بخمسة عشر مجلد لكيفية حكم العراق بعد الحرب"[1]، أي أنها ليس

---

**١- بيتز وغالبريث، نهاية العراق، ترجمة إياد أحمد، بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧، ص:١٣٧.**

اعتباطًا أيضًا أو عدم خبرة أن تسمح بعودة رجل إيران الأول باقر الحكيم بذلك الشكل الاستعراضي، بموكب واستقبالات في المدن التي يمر بها موكبه، بنقل حي على التلفزيون الرسمي، لا شك أنها تعرف من مجلداتها ال ١٥ أن باقر الحكيم ومجلسه ليس إلا مؤسسة إيرانية صرف لاعلاقة لها بالعراق إلا اسمًا.

يعتقد الباحث في الشؤون العربية فتحي رشيد، أن أمريكا لم تكن تسمح لتواجد باقر الحكيم في العراق فقط لإرهاب السُنَّة بل "لإثارة الصراع مع الأطراف الشيعية الأخرى، من أجل أن تستخدمه للوقوف في وجه القوى الشيعية الأخرى المقاومة للاحتلال، ومن المحتمل أن يكون السيد الحكيم مدركًا لما تبيته الإدارة الأمريكية له ولمجلسه ومؤيديه[١]".

يعرف عزة وجماعته حدود المهمات الموكلة بهم ممن نصبهم أدعياء بالمقاومة العراقية، مثله مثل المعنيين بالشأن العراقي من الأجهزة الإيرانية، أدوارهم محددة ومختصرة بتأجيج الصراعات الطائفية، إثارة وشحن النزعات الطائفية بتصعيد التهديدات بالموت والفناء للآخر... أمريكا وحدها من يحق لها وتمتلك القدرة على تحريك أدواتها عند الضرورة، تسمح باحتلال داعش للموصل، مقابل السماح للطائفيين من الشيعة بتشكيل الحشد الشعبي، وستبقي الدماء جارية إلى أن يتعب الطرفين ويستهلكا كل قواهما ويصلا إلى حد القبول برغبتهم بالتقسيم كحل نهائي لمشكلاتهم، كما فسر باقر الحكيم فائدة التقسيم الفيدرالي في أعلاه.

يبدو أن إشارة الأركان الحمراء التي يحملها عزة الدوري، ستظل كما هي مجرد شريط أحمر لا دلالة له ولا تأثير في عقلية الجندي الفار من الخدمة العسكرية قائد المقاومة، والقائد العام للقوات المسلحة العراقية، الفاشل في الحصول حتى على شهادة الابتدائية.

---

**١- فتحي رشيد، حدث ويحدث في العراق والمنطقة – أمركة أم صهينة، دمشق: ٢٠٠٣، ص: ٢٦٤.**

تلك هي لعبة طائفية العولمة والقرن ٢١، لا دخل لها بالاختلافات المذهبية، يندفع ورائها تجار ومحترفين لإرضاء أطراف خارجية تتفاعل مكافآتها مع نزعات نرجسية وذات مريضة تتمحور حول "أنا" مضخمة، ومشاعر ضاغطة بحدة بالنقص والدونية، يتحركون بتناغم، كل حسب دوره الذي تحدده له، المؤسسات الأمريكية والصهيونية المعنية بالشأن العراقي، يبارك عزة الدوري لداعش تنفيذها لمجزرة سبايكر، ليُكره عرب الجنوب بكل ما هو قومي عربي، ويلعن أحدهم اليوم الذي ولدته أمه بالهوية العربية.

حان دور السستاني الذي ألغى من رسالته فريضة الجهاد كفريضة إسلامية ليتقدم مستثمرًا ما زرعه عزة من كره للعروبة، ليقول بضرورة الجهاد الكفائي أي أن الجهاد يغدو واجب فرض على كل مؤمن ومؤمنة عندما لا يكون هناك ما يكفي من القوة لممارسة هذا الجهاد، ويفترض أن الجيش العراقي الذي أسسه بريمر معني بهذا الجهاد بما لا يحمل المسلم واجب الجهاد الكفائي، بلغ تعداد هذا الجيش حوالي أكثر من نصف مليون، إن لم يكن العدد كافيًا لمواجهة داعش، فالجهاد الكفائي يفرض التطوع بالجيش أو تطوير وحداته الخاصة بحرب المدن، ليتطوع من يريد الجهاد والشهادة كسبًا لرضى الله وطمعًا بحورياته، أن يتطوع في الجيش لا بعصابات الحشد الشعبي، أما أن يترجم هذه الفتوى عملاء أمريكا – إيران – إسرائيل – بتشكيل قوات الحشد الشعبي، يعني مواجهة الإرهاب باسم السُنَّة بإرهاب باسم الشيعة على أرض مدينة كافح أهلها بشدة ومنذ الحرب العالمية الأولى من أجل الحفاظ على هويتها العربية ضد الأطماع التركية[1].

---

**١- حول الأطماع والمحاولات التركية للاستيلاء على محافظة الموصل وضمها لتركيا كما حصل للواء الأسكندرونة، راجع: ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، الجزء الأول، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٧، ص: ٤٨٧ -٥١٢**

لا أشكك هنا بنوايا المتطوعين في الحشد الشعبي المغيبة عقولهم والعاجزة عن فهم معنى الجهاد الكفائي، لا أشكك أبدًا بصدق سرائرهم في الدفاع عن وحدة أراضي بلدهم ، لكن الحديث هنا يعني تجار الطائفية من عملاء الغرب والصهيونية ممن أسس وقاد هذه المليشيات.

أعتقد أو أظن (وبعض الظن إثم)، إن كُل من السستاني وعزة الدوري لو مات كلاهما أو أحدهما ، سيُمْنع وبأمر المخابرات المركزية الأمريكية الإعلان عن موتهما إلى أن ينجزا مهماتهم في تقسيم العراق وتدميره، بحروب أهلية حتى يبدو التقسيم حلاً نهائيًا مقبولاً باسم الله، واسم أبو حنيفة وأحمد بن حنبل والإمام علي والإمام المهدي المنتظر ، والوحدة العربية.

وتسيل دماء الآلاف من الشباب ، وتعطل طاقات من يسلم منهم ويُستلب عقله ليغدو معزولاً عن الحياة من حوله، مشغولاً بخلافات حصلت بين أجدادنا قبل ١٤٠٠ عام، مع أنهم كانوا جميعًا من قريش تربط بعضهم ببعض أواصر نسب بشكل أو آخر، فما زال هناك من يتجادل بانفعال وبالسلاح حول من هو الأجدر فيهم أن يتولى الحكم؛ الإمام علي أم الشيخين ، مع أن التاريخ يقول لنا إنهم تعايشوا وتعاونوا من أجل الحفاظ على كيان دولتهم ودينهم!

على الشباب العروبيين من الشيعة أن ينتبهوا ويتأملوا حقيقة كون تشكيل الحشد الشعبي يمثل الخطوة الأخيرة لتعميم الاقتتال الداخلي وصولاً لمرحلة التقسيم ، وفقًا للمخطط الصهيوني الرامي لتقسيم العراق إلى ٣ دول صغيرة ستتناحر وتتقاتل على حصتها أو حقها في هذه المدينة أو تلك!.